الجزء الأول

الإعجاز العلمي في آيات الله والعلوم الكونية

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

خلق الله الإنسان، وسخر له الكون فضلًا ورحمة منه... لك أن تشهد شروق الشمس... وامتداد البحار... والنخيل والأنهار... والصحاري الشاسعة... والجبال الراسية، وغيرها من مشاهد القدرة والإبداع... وقد أمرنا سبحانه وتعالى بالسير في الأرض، والنظر، والتفكر، حتى تطمئن القلوب بمعرفة خالقها الكريم المعطي، وحين يسمح الله تعالى بالعلم ببعض أسراره ومعجزاته كما وعد في كتابه الكريم، يكتشف العلماء من المعجزات الكونية وغيرها ما يجعلهم يشهدون بالوحدانية لله تعالى، وبالنبوة لرسوله الأمي محمد ﷺ، ويقف الإنسان أمام تلك الآيات عاجزًا شاكرًا لربه، يشهد بضعفه، وإبداع الخالق وقدرته... ومنها للتذكرة واليقين.

١- حركة السفن والرياح:

اكتشف العلماء في عصرنا أنه لو سكنت الريح فلا تعمل الباخرة أو السفينة، سواء التي تتحرك في البحر تبعًا لحركة الرياح، والتي تعمل بالاحتراق الداخلي أو الموتور؛ لأن الرياح هي العامل المساعد في عملية الاحتراق بوجود الأكسجين الذي يأتي عن طريق تغير الهواء باستمرار بفعل الرياح، وكذلك عملية التبريد للأجهزة المختلفة التي تعمل بالطاقة، ولقد أشار الله تعالى لذلك منذ ألف وأربعمائة عام في قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ (الشورى: ٣٣).

٢- صعود السماء وصفة العروج:

لقد تم رصد حركة الضوء على سبيل المثال أثناء حركته عبر السماء، فكان يعرُج في انحناء... وثبت بذلك أن الكون كله بما فيه من مادة وطاقة في حالة انحناء تام، وأن

أيًا من مختلف صور المادة والطاقة لا يمكنه التحرك في الكون في خطوط مستقيمة أبدًا، وسبحان الذي أنزل في محكم كتابه قبل ألف وأربعمائة عام وصف الحركة في السماء بالعروج[(١)] في سبع آيات متفرقات ومنها قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة: ٥).

٣- الرواسي وتثبيت الأرض:

ثبت علميًا أن قشرة الأرض الخارجية تمتد لمسافة تقدر بحوالي ٣٠كم، ثم بعدها يكون هناك الوشاح السائل أو الطبقة المنصهرة، والتي عليها القشرة الأرضية، وبذلك تحتاج الأرض إلى شيء يثبتها، حيث إنها بذلك تكون كتلة صلبة ملقاة على وشاح سائل فتنزلق الألواح الصخرية عند دوران الأرض، وكذلك هناك انصهارات تحدث في هذه الطبقة؛ لذلك فإن قشرة الأرض تحتاج إلى ما يثبتها، بسبب ضغط الأبخرة، وحركة الألواح، ونجد في عصرنا اعتراف العلماء أنه لابد من وجود الجبال لتثبيت الأرض، واستقرار ما سكن عليها، وقد أخبرنا الله عن ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ (النحل: ١٥). ويخبرنا ﷺ أنه: «**حينما خلق الله الأرض جعلت تميد فأرساها بالجبال**».

٤- توازن الكون وآيات الإعجاز:

ولقد وجد العلماء أن للجبال جذورًا في الأرض تمتد، وأن الجبال تنمو، ولها أعمار محددة، وحين يتآكل الجبل بسبب عوامل التعرية أو ما ينتفع به الإنسان في استخداماته

---

(١) وصف الحركة في السماء بالعروج حقيقة أثبتها العلم الحديث «الإعجاز العلمي في القرآن الكريم» الدكتور زغلول النجار، والحمد لله أن الملك القدير يرينا آياته فنعرفها.

فإن هذه الجذور تعمل على إعادة ما تم استهلاكه حتى ينتهي عمر الجبل المفروض فيستوي بالأرض، ولقد أشار النبي ﷺ إلى هذا النمو في الجبال منذ ألف وأربعمائة عام في قوله ﷺ : «**لو ضُرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان**» حيث إنه بانتهاء بعض الجبال تتكون سلاسل جبلية أخرى عن طريق ما يحدث في قيعان البحار من انطلاقات بركانية تكون سلاسل الجبال الأخرى بتقدير الله العزيز الحكيم...

والتفسير العلمي لذلك أن الجبل يغوص بثقله إلى عمق يصل للطبقة المنصهرة، وتنطبق قوانين الطفو، فكلما أخذ الإنسان من الصخور ومواد البناء من أعلى، فيختل الضغط ويعلو الجبل مندفعًا من أسفل مسافة بقدر ما أخذ من الجبل تبعًا لقوانين الطفو، وهكذا حتى يخرج الجذر كله من الطبقة المنصهرة، فيستوي الجبل بالأرض، وهي فترة الشيخوخة للجبال كما يسميها العلماء.

٥- الإعجاز في خلق الأرض وصلاحيتها للعمران:

إن القرآن الكريم يحتوي على العديد من الحقائق العلمية عن الأرض؛ فلقد أشار القرآن الكريم في بعض الآيات عن كروية الأرض ودورانها، وهناك آيات توضح بداية تكوينها فهي مرحلة الجرم الأولى الذي تكدست فيه كل الكواكب المختلفة، وهناك الآية التي أشارت إلى إنزال الحديد إلى الأرض إنزالًا حقيقيًا، والآية التي تؤكد أن الأرض ذات صدع، حيث تم اكتشاف ذلك بواسطة أجهزة تخترق طبقات الأرض.

وبعد دراسات كثيرة من العلماء، وهناك الآيات التي تحدثت عن ظلمات البحار الموجودة على الكوكب الأرضي، وكيف أن هناك أمواجًا أخرى داخلية، وأن هناك نيرانًا تخرج من أعماق البحار والمحيطات، وكيف أن كتل المياه المتجاورة لا تختلط

اختلاطًا كاملًا نظرًا لوجود حواجز أفقية ورأسية غير مرئية تفصل بينها، ويتضح هذا الفصل بصورة أكبر في حالة التقاء كل من المياه العذبة والمالحة عند مصاب الأنهار، حيث يلتقي المالح والعذب في مصب واحد ولا تختلط المياه وكذلك يكون هذا الفاصل بين مياه البحار المتصلة بعضها ببعض على اختلاف درجة ملوحتها بحيث يحتفظ كل بحر بخصائصه الطبيعية، ولقد أشار القرآن إلى ذلك وسمى الفاصل بالبرزخ أي الحاجز وهو من نفس نوع المياه[١] فسبحان العليم الخبير.

وهناك الآيات التي تحدثت عن الجبال، وكيف أنها تمتد إلى باطن الأرض وتكون الأوتاد، ووظيفتها في تثبيت الغلاف الصخري للأرض، واتزان دورانها حول محورها، كذلك نجد الآيات التي تصف غلاف الأرض الغازي بصفة الرجع، وتناقص الضغط الجوي مع الارتفاع، والإحساس بضيق الصدر كلما ارتفعنا، وآيات تشير إلى تسوية الأرض وشق الفجاج والسبل، وتناقص الأرض من أطرافها، أو تشير إلى إسكان الماء في الأرض دون أن يتلف، ولا يستطيع أحد أن يخزن الماء بتلك الطريقة التي تدل على إبداع الله العلي القدير.

وهناك آيات تدل على تبادل الليل لراحة البشر، ووضوح النهار للسعي والعمل، وأن الليل هو الغالب على الفضاء الكوني، ولذلك تبدأ الآيات بذكر الليل دون النهار، وكذلك إشارة الآيات إلى رقة طبقة النهار حول نصف الأرض المواجه للشمس واستخدام اللفظ نسلخ أي أن الله تعالى يسلخ النهار من الليل، وذلك يدل على اتساع مساحة الليل في الفضاء الكوني وكذلك الآيات التي تشير إلى أن الليل في بداية الخلق كان مضيئًا ثم مُحي ضوؤه، والضوء هو آية الليل؛ لأن الآية في المعنى هي النور والبيان

(١) «براهين الإيمان ومعجزاته» الشيخ عبد المجيد الزنداني في الحديث عن عالم البحار والقرآن الكريم.

والوضوح، وجعل الله ذلك لتظل آية النهار هي المبصرة ليكون الليل للراحة بعد العمل والسعي، ولقد أشرنا إلى ذلك من قبل في كتاب «مواقف وإعجازات» عند الحديث عن ظاهرة الفجر القطبي، وهناك الآيات التي تؤكد أن عملية الخلق بدأت على مراحل متعاقبة عبر فترات زمنية طويلة في أطوار مختلفة وآيات تصف بداية الخلق ونهايته وتبديل الأرض غير الأرض والسماوات.

ومن آيات الله تعالى في الأرض أن الغلاف الغازي يرد عنها الأشعة الضارة والقاتلة وتحترق فيه أجرام الشهب، وأغلب مادة النيازك وهي تهطل على الأرض كحبات المطر في كل يوم، ومن رحمة الله تعالى أنها تسقط في المناطق غير الآهلة بالسكان، ولقد وجد العلماء أن الأرض يقدر حجمها بحوالي مليون كم٣ وكتلتها تقدر بحوالي ستة آلاف مليون مليون مليون طن وهي أبعاد ومقادير تدل على إبداع الخالق القدير الخبير، فلقد وجد العلماء أنه لو كانت الأرض أصغر قليلًا لما كان في مقدورها الاحتفاظ بأغلفتها الغازية، والمائية، وبالتالي لاستحالت الحياة الأرضية، وكذلك تشتد درجة حرارتها لصغر مساحتها بصورة تحول دون أي شكل من أشكال الحياة الأرضية.

ولو كانت أكبر قليلًا من حجمها السابق لزادت قدرتها على جذب الأشياء زيادة ملحوظة مما يعوق الحركة، ويحول دون النمو الكامل لأي كائن؛ وذلك لزيادة قدرتها على جذب الأشياء فتنقص من نموها لأن أغلب مادتها من الحديد، فهي تُبنى من عدة نطق حول كرة مصمتة من الحديد والنيكل تُعرف باسم لُبِّ الأرض الصلب الداخلي ولب الأرض الصلب الداخلي، عبارة عن نواة صلبة من الحديد ٩٠٪ وبعض النيكل٩٪ مع القليل من العناصر الخفيفة مثل الفوسفور والكربون والسيلكون بنسبة ١٪ وقطرها حوالي ٢٤٠٢كم، وهذا هو نفس تركيب النيازك الحديدية التي تنزل إلى الأرض، حيث أشار الله تعالى إلى ذلك في آية إنزال الحديد.

وهناك نطاق لُبِّ الأرض السائل الخارجي وهو نطاق سائل يحيط باللب الصلب وله نفس تركيبه الكيميائي ولكنه منصهر وسمكه حوالي ٢٢٧٥كم ويفصل هذا النطاق عن اللب الصلب منطقة انتقالية يبلغ سمكها ٤٥٠كم وهي منطقة شبه منصهرة تمثل بداية الانصهار ثم ثلاثة أوشحة تحيط بلبها السائل ثم الغلاف الصخري للأرض.

وللأرض مجال جاذبية يزداد مع العمق حتى يصل إلى قمته عند الحد الفاصل بين وشاح الأرض ولبها ثم يبدأ في التناقص، ولولا جاذبية الأرض لهرب منها غلافها الغازي، ولما أمكنها أن تكون صالحة للعمران لأن سرعة الإفلات من جاذبية الأرض تقدر بحوالي ١١,٢كم/ ثانية في عكس اتجاه الجاذبية، واقتضت حكمة الله أن تكون سرعة الغلاف الغازي أقل من هذه السرعة بكثير وبذلك حفظ الله تعالى الغلاف الغازي للأرض لحمايتها من الإشعاعات الكونية والشمسية، ولرجمت بملايين من النيازك الكافية لتدميرها.

وللأرض مجال مغناطيسي ثنائي القطبية ويتولد من حركة المكونات فيها وفيه، كما يتولد لأي جسم آخر، وتفسير ذلك أن الجسيمات الأولية للمادة في غالبيتها مشحونة بالكهرباء تتحرك سواء طليقة أو مرتبطة في داخل ذرات المادة فهي حين تتحرك تولد مجالًا مغناطيسيًا، يحيط بالأرض ويحميها من الأشعة الكونية الضارة، ويمتد المجال المغناطيسي للأرض إلى مسافة تقدر بخمسين كم فوق سطحها، ومن فوائده أيضًا أنه يجمع أحزمة من الأشعة الهلالية الشكل، وتحمي الأرض من الأشعة الضارة.

والجبال تثبت الغلاف الصخري للأرض، ولولا ذلك ما تكونت التربة ولا دارت دورة المياه، ولا خزنت المياه تحت السطحية ولا أمكن لكائن حي أن يستقر على

سطحها، وللأرض نشاط ديناميكي يتمثل في حركة ألواح الغلاف الصخري لها الممزق بشبكة هائلة من الصدوع ترتبط بعضها البعض كأنها صدع واحد، ولقد اكتشف العلماء ذلك عن طريق أجهزة تخترق طبقات الأرض لم تكن موجودة في عصر النبي ﷺ والتي أشار الله تعالى إليها في قسمه: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ (الطارق: ١٢).

وفائدتها تعمل كمتنفَّس لطاقة الأرض الهائلة وتتحرك الأرض عبرها يمنة ويسرة وحين تتحرك ألواح الغلاف الصخري بفعل تيارات الحمل العنيفة المندفعة من نطاق الضعف الأرضي، فلو تحركت متباعدة تتكون قيعان البحار والمحيطات، أو مصطدمة فتكون السلاسل الجبلية والثورات البركانية التي تثري سطح الأرض بالخيرات المعدنية والصخرية المختلفة ونلاحظ أنها آيات مختلفة عن الأرض وتكوينها، وخصائصها، وقد أخبرنا الله تعالى عن كل تلك الآيات في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ (الذاريات: ٢٠).

٦- من صور الرجع الكوني والإعجاز القرآني:

لقد وصف الله تعالى السماء بأنها ذات الرجع، ولفظ الرجع يثبت أن المقصود هو المطر وغيره مما يصح عليه هذا اللفظ، لذلك لم يأت القسم بلفظ والسماء ذات المطر لأن المقصود بالرجع هو أشياء مختلفة ومتعددة غير المطر، ولتفسير ذلك نقول: لقد وجد العلماء أن كل ما يصعد إلى السماء أو إلى الغلاف الغازي بها من بخار ماء وغازات مثل أول أكسيد الكربون، وأكاسيد النتروجين، والنشادر، وغاز الميثان، وغيرها، يرتد مرة أخرى إليها، وأن كل ما يسقط على الغلاف الغازي يرتد راجعًا عنه لحماية الأرض من وصول الأشعة الضارة وغيرها.

كذلك من صور الرجع تلك النجوم التي تنفجر في السماء وتتحول إلى الدخان، ثم تتخلق مرة أخرى وتعود نجومًا جديدة من هذا الدخان وهي صورة أخرى من صور الرجع في السماء، وهناك في الغلاف الجوي نجد أنه يتكون من عدة نطق مختلفة.

أولاً- نطاق الطقس أو الرجع:

وهو يمتد من سطح البحر على ارتفاع ١٦ كيلو متر فوق خط الاستواء، ويتناقص سمكه إلى ١٠ كيلو مترات فوق القطبين وتنخفض درجة الحرارة في هذا النطاق باستمرار مع الارتفاع؛ وذلك لبعده عن الأرض التي تمتص جزءًا من حرارة الشمس وهو حوالي ٤٧٪ من أشعتها، ثم تنعكس هذه الحرارة في صورة أشعة تحت حمراء إلى الغلاف الغازي، وبذلك تنخفض درجة الحرارة في النطاق الغازي مع الارتفاع للبعد عن مصدر الدفء وهو سطح الأرض، وفي ذلك فائدة للأرض كبيرة حيث تصل درجة الانخفاض في الحرارة إلى درجات كبيرة، وذلك يجعل هناك طبقة من الهواء البارد أسفلها طبقة من الهواء الساخن ويحدث بذلك تيارات حمل مستمرة تساعد على رجوع بخار الماء إلى مطر ولولا ذلك لفقدت الأرض مياهها عن طريق البخر دون أن يرجع إليها ثانية.

ثانيًا- نطاق التطبق:

ويمتد على ارتفاع ٥٠كم فوق مستوى سطح البحر ويحتوي طبقة تسمى طبقة الأوزون، وهي التي تمتص الأشعة فوق البنفسجية وتردها إلى خارج هذا النطاق لحماية الأرض من أضرار تلك الأشعة، وهي صورة أخرى من صور الرجع.

ثالثًا- النطاق الحراري:

ويمتد على مئات الكيلومترات فوق سطح البحر، وفيه ترتفع درجة الحرارة، وفي جزء من هذا النطاق تتأين جزيئات الغاز أي تُشحن بالكهرباء بفعل الأشعة فوق البنفسجية والسينية من الشمس ويسمى بالنطاق المتأين.

رابعًا- أحزمة الإشعاع:

وهي عبارة عن زوجين من الأحزمة الهلالية الشكل التي تزداد في السمك حول خط الاستواء، وترق رقة شديدة عند القطبين، وتحتوي عددًا كبيرًا من البروتونات والإلكترونات التي يصطادها المجال المغناطيسي للأرض وهي تحمي الأرض من الأشعة الكونية وتردها، ولقد وجد العلماء أن الغلاف الغازي للأرض، يحتوي على تكوينات وغازات وعناصر تجعله يتصف بأنه ذو رجع، فمثلًا هناك **الرجع الاهتزازي** للهواء وهو رجع الأصوات وصداها.

حيث تزداد سرعة الصوت كلما زادت كثافة الوسط الذي يتحرك فيه وتقل بقلة كثافته، ففي الماء تتضاعف سرعة الصوت أربع مرات عنها في الهواء، وفي المنطقة العليا من الغلاف الغازي للأرض تتناقص حتى لا تكاد تسمع ولذلك يتخاطب رواد الفضاء مع بعضهم البعض بواسطة الموجات الراديوية التي يمكنها التحرك في الفضاء، وعندما تصطدم الموجات الصوتية الصادرة من شخص مثلًا بأجسام أعلى كثافة من الهواء فإنها ترتد على هيئة صدى للصوت، وهو أول صورة من صور الرجع، ولولاه ما سمعنا بعضنا البعض.

وتحتوي الطبقة الدنيا من الغلاف الغازي على عناصر أعلى كثافة من الهواء تساعد على رجع الصوت فمثلًا هناك ٧٥٪ من كتلة الغلاف الغازي تحتوي غاز

النتروجين بنسبة ٧٨٪ حجمًا، والأكسجين ٢١،٩٥٪ حجمًا وآثارًا خفيفة من بخار الماء وثاني أكسيد الكربون والأوزون وبعض هباءات الغبار وآثارًا أقل من الأيدروجين، والأرجون، والهيليوم وبعض مركبات الكبريت.

كذلك هناك **الرجع المائي** حيث يتكثف بخار الماء ويعود إلينا مطرًا أو ثلجًا أو بردًا أو ندى وضبابًا، ومن آيات الإعجاز الإلهي ما اكتشفه العلماء من أن ما يتبخر من أسطح المحيطات والبحار في السنة يفوق ما يسقط فوقها، وأن ما يسقط من مطر على اليابس سنويًا يفوق ما يتبخر منها، والفارق في الحالتين متساو تمامًا، فيفيض إلى البحار والمحيطات ليحفظ منسوب المياه فيها عند مستوى ثابت في الفترة الزمنية الواحدة، ولولا ذلك لفسد ماء الأرض، وتعرض كوكبنا لحرارة قاتلة بالنهار وبرودة بالليل فسبحان الذي قدر الأشياء بعلمه وقدرته.

وهناك أيضًا **الرجع الحراري**، حيث تمتص الأرض جزءًا من حرارة الشمس حيث يرتد إليها في كل لحظة شروق كميات هائلة من طاقة الشمس ويرد الغلاف الغازي ويرجع عنا الأشعة الضارة والزائدة عن حدها بالنسبة لما تحتاجه الأرض وإلا لاحترقت الأرض بما عليها، وكذلك يحافظ الغلاف الغازي بالليل على الحرارة المنبعثة من الأرض ويمنعها من التشتت حتى تحتفظ الأرض ليلًا بدرجة حرارة يحتاجها البشر وإلا لتجمدت الكائنات ليلًا، والغلاف الغازي يشتت ويرجع حوالي ٥٣٪ من أشعة الشمس ويسمح بمرور حوالي ٤٧٪ من طاقة الشمس تمتصها الصخور وتربة الأرض، ولو لم يكن هناك الغلاف الغازي لتشتت الحرارة أو زادت عن نسبتها فتحترق بذلك الكائنات.

وأيضًا هناك نوع من الرجع، وهو **رجع الغازات** والأبخرة والغبار المرتفع من سطح الأرض عن طريق ثورات البراكين التي تدفع بملايين الأطنان من الغازات

والأبخرة والأتربة في مكان معين وهي تفيد في تشتيت أشعة الشمس خلال الطبقة المتأينة؛ ليتمكن الإنسان من رؤية الضوء، فيتم توزيعها عن طريق المنخفضات والمرتفعات الجوية التي تدفع بالهواء في حركة أفقية فتنشأ الرياح التي تتوقف على مقدار الفرق بين الضغط الجوي في منطقتين متجاورتين، ودوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق وتنوع التضاريس التي تختلف بحسب مساحة المياه الموجودة، ووجود الجبال، والموقع الجغرافي وغير ذلك من العوامل التي قدرها الله سبحانه وتعالى.

وحين تحمل الرياح الأتربة والغبار من سطح الأرض توزعه على جميع أنحاء الأرض بحكمة بالغة حيث ينخفض الضغط الجوي كلما زاد الارتفاع، وبذلك تضعف قدرة الهواء على الاحتفاظ بالغبار المحمول من سطح الأرض، مما يؤدي إلى رجوعه إلى الأرض في مناطق متفرقة توزيعًا متناسبًا.

كذلك من صور الرجع أن **طبقة الأوزون** ترد عنا الأشعة الضارة مثل الأشعة فوق البنفسجية، حيث تمتصها وترد نسبًا كبيرة منها إلى خارج ذلك النطاق ثم هناك **رجع الطبقة المتأينة** وهي تكون بين ١٠٠ و ٤٠٠كم فوق مستوى سطح البحر والتي تمتص الأشعة السينية، والفوتونات النشيطة القادمة مع أشعة الشمس فتؤدي إلى رفع درجة الحرارة وزيادة التأين الراديوية ذات الأمواج الطويلة فتيسر عمليات البث الإذاعي المباشر، والاتصالات الراديوية، وهي صورة أخرى من صور الرجع.

ومن صور الرجع أيضًا **رجع الأشعة الكونية** عن طريق أحزمة الإشعاع، والنطاق المغناطيسي للأرض، فلا يصل الأرض منها شيء، ولكن قد يصل بعض الأشعة الثانوية إلى سطح الأرض فتؤدي إلى عدد من ظواهر التوهج والإضاءة في ظلمة الليل، ومنها ظاهرة الفجر القطبي حيث يرق حزامي الإشعاع عند القطبين

فتصطدم هذه الأشعة بالغلاف الغازي، إنها صور الرجع التي يخبرنا الله عنها بقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾ (الطارق:١١).

٧- الإعجاز في بناء السماء دون تشقق أو فروج:

لقد كان يعتقد علماء الفلك منذ عهد قريب أن أجرام السماء تَسْبح في فراغ تام ولكن البحوث المتأخرة، أثبتت أن المسافات بين كل من النجوم وتجمعاتها المختلفة إلى نهاية الجزء المدرك من الكون تنتشر فيها الأشعة الكونية، وما تحمله من جسيمات أولية والدخان الكوني، وما يحمله من هباءات، واكتشف العلماء نوعًا من الخيوط الكونية التي تربط أجرام السماء وتحمل الأوامر الكونية كما تحملها لَبِنات الشفرة الوراثية في أجساد الكائنات الحية وهذا ينفي وجود فراغات أو فروج في الكون المدرك، ولن يكون هناك شقوق في السماء إلا يوم القيامة ، يقول تعالى: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٌ ﴾ (الحاقة:١٦).

ويقول أيضًا: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴾ (المرسلات:٩)، ولأن السماء عبارة عن بناء محكم فإن أي شق فيها يسمى بابًا لأن الباب لا يُفتح في فراغ؛ لذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴾ (النبأ:١٩).

ويقول أيضًا: ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴾ (الحجر:١٤)

ولقد وجد العلماء أن كل الصور التي يكتشفونها في السماء على مر السنين تدل على أن السماء لا يصح عليها إلا لفظ البناء والبناء المحكم، ولقد اكتشفوا الكثير مما يدل على ذلك، وعلى سبيل المثال، نجد أنهم اكتشفوا ما يسمى باسم الحائط العظيم، وهو عبارة عن حشد هائل من تجمعات المجرات، يبلغ طوله نحو مائتين وخمسين مليونًا من

السنين الضوئية، وعرضه نحو مائتي مليون، وسمكه نحو خمسة عشر مليونًا من السنين الضوئية.

ولقد اكتشف الفلكيون في داخل هذا الحائط العظيم العديد من المناطق المظلمة، الشاسعة الأبعاد التي تفصل بين كل من المجرات والتجمعات المجرية بمختلف مستوياتها وتبدو هذه المناطق المظلمة وكأنها مناطق جذب فائقة الشدة مرتبة ترتيبًا دقيقًا، وبأشكال هندسية محددة، وتتوزع المجرات حولها، وكأنها خلايا عظيمة البناء متصلة بشكل هندسي بديع حول المناطق المظلمة التي يبدو أنها مشدودة إلى مراكز تلك المناطق بقوى كهرومغناطيسية ذات موجات غير معروفة تساعد في انتظام البناء في صورة لا تدل إلا على إبداع الله العلي القدير.

ووجد العلماء أن الأشعة الكونية أو الدخان الكوني ينتشر في صورة مادة تملأ الفراغات الموجودة بين هذا البناء المحكم مما ينفي وجود أي فراغات أو شقوق في الكون، ويشير الله تعالى إلى ذلك في قوله تعالي: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ (ق: ٦).

٨- رزق السماء والعلوم الكونية:

إن الله تعالى خلق الإنسان وتكفل برزقه، ولقد كانت السماء من نعم الله التي تحتوي أسبابًا للرزق فلقد وجد العلماء أن من رزق السماء هذا المطر الذي نرتوي به ونروي منه زراعتنا، كذلك غاز الأكسجين الذي يتنفسه الإنسان والحيوان، وكذلك غاز ثاني أكسيد الكربون الذي يتنفسه النبات، وهذه الغازات تمتد من سطح الأرض إلى ارتفاع ١٦كم فوق خط الاستواء.

والماء الذي ينزل من السماء بعد أن تكثف منذ بداية الانفجار الكوني الأول وعبر فوهات البراكين حيث يتصاعد على هيئة بخار ماء ثم يتكثف عن طريق الطبقة العليا الباردة فيعود إلى الأرض ليجري أنهارًا متدفقة تفيض إلى منخفضات الأرض فتشكلها بحارًا، ومحيطات، وبحيرات، ومستنقعات.

ويدخل الماء في العمليات الحيوية للإنسان والحيوان ويعين النبات على الاستفادة بمركبات الأرض ووجد العلماء أن هناك نجومًا في السماء تنفجر وتسمى بالمستعرات وهي تحتوى على نسبه عالية من الحديد فتصطدم نيوترونات دخان السماء بنوى الحديد المتطاير من عملية الانفجار لتبني ذرات نوى أعلى كثافة مثل الفضة والذهب واليورانيوم وغيرها وهي نوع من أنواع الرزق في السماء.

ويصل إلى الأرض في المناطق الغير آهلة بالسكان يوميًا بين الألف والعشرة آلاف طن من مادة الشهب والنيازك لتجدد إثراء الأرض بمعدن الحديد والعناصر المختلفة، والتي تمثل صورة من صور رزق السماء توزع في مناطق مختلفة من الأرض كذلك من صور الرزق في السماء هذه الشمس التي ترسل أشعتها إلى الأرض فيستفيد منها الإنسان والحيوان والنبات.

ونحن نعلم أهمية الضوء في مسألة نمو النباتات حيث لا ينمو النبات إلا في وجود الضوء وأشعة الشمس، ومن ذلك نجد أن ماء المطر هو من رزق الله الذي أودعه الله تعالى في السماء، كذلك الشهب والنيازك هي من رزق الله في السماء، وأيضًا أشعة الشمس هي صورة من صور الرزق، ولها أهميتها في نمو الإنسان والحيوان والنبات، فسبحان الذي أخبر رسوله بذلك منذ ألف وأربعمائة عام في قوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٢).

ومعنى ما توعدون، أي: ما توعدون به من الثواب والعقاب، وما هو مسجَّل لك أو عليك في اللوح المحفوظ أتشقى أم تكون من السعداء.

٩- نجوم تطرق السماء وتثقب الظلام الكوني:

اكتشف العلماء في صفحة السماء وعلى أطراف الجزء المدرك من الكون نجومًا تسمى النجوم النيترونية شديدة التضاغط والتي تسمى باسم النجوم النابضة، وهي ذات كثافة وجاذبية فائقة وحجم صغير ولذا فإنها تدور حول محورها بسرعات فائقة مطلقة كميات هائلة من الموجات الراديوية ولذا تعرف باسم النوابض الراديوية (*radio pulsars*) لأنها ترسل نبضات منتظمة من الأشعة الراديوية في كل جزء من الثانية أو في كل عدد قليل من الثواني حسب حجمها وسرعة دورانها حول محورها، وقد يصل عدد نبضات تلك النجوم إلى ثلاثين نبضة في الثانية الواحدة، ويُعتقد أن النابض الراديوي يُطلق نبضة واحدة من الموجات الراديوية في كل دورة كاملة حول محوره، وتسجل التلسكوبات الراديوية أو المقربات تلك النبضات بدقة بالغة[(١)] والتي تشبه بالنسبة للسامع نفس الطرقات التي تُطرق على الباب.

ومن رحمة الله بنا أن أقرب النوابض الراديوية إلينا يبعد عنا بمسافة خمسة آلاف من السنين الضوئية، وإلا كان لنبضاتها المتسارعة أثر مدمر للحياة على الأرض، فسبحان الذي خلق تلك النجوم وحفظ الإنسان من كل ما يضره ولقد أخبرنا الله تعالى بتلك النجوم وأوحى إلى رسوله يبلغنا عنها في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ (الطارق: ١-٣).

---

(١) يعترف العلماء بسماع أصوات تلك النجوم عن طريق التلسكوبات الراديوية وكأنه الطرق على الباب تمامًا.

وهذا الوصف يعبر بدقة عن طرقات تلك النجوم النابضة، والتي تثقب الظلام الكوني بوميضها الذي ينبعث منها أثناء تلك النبضات، وتثقب الصمت الكوني بنبضاتها سريعة التردد، ويبدو الإعجاز في أن تلك التلسكوبات التي سجلت مشاهد وطرقات هذه النجوم لم تكن موجودة في عهد النبي ﷺ منذ ألف وأربعمائة عام مما يثبت لنا أنه كان لا ينطق عن الهوى، وأن ما أخبرنا به هو الوحي من السماء.

١٠- الإعجاز في رفع السماء بغير عمد:

إن من يتأمل في هذا الكون وما يحتويه من المجرات، والنجوم، والكواكب الهائلة في الحجم، يتعجب من تماسكها وعدم اصطدامها أو وقوعها على كوكبنا الأرضي فهناك نجوم تفوق أحجامها حجم الأرض بل وتفوق حجم الشمس بملايين المرات، وسقوط نجم واحد على كوكب الأرض كفيل بتدميره وما عليه من كافة صور الحياة في لحظة ولكن اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون الجاذبية العامة هي سُنَّة من سنن الحياة أودعها الله تعالى في كافة أجزاء الكون ليربط أجزاءه بها دون الحاجة إلى الأعمدة كما يفعل البشر، فهو ترابط يتناسب مع قدرة الله تعالى.

وجعل الله قانونًا كونيًا ينص على أن قوة التجاذب بين أي كتلتين في الوجود تتناسب تناسبًا طرديًا مع حاصل ضرب كتلتيهما، وعكسيًا مع مربع المسافة الفاصلة بينهما، ومعنى ذلك أن قوة الجاذبية تزداد بزيادة كل من الكتلتين المتجاذبتين وتنقص بنقصهما، كذلك تزداد قوة الجذب بنقص المسافة الفاصلة بين الكتلتين وتتناقص بزيادة المسافة بينهما، ولأن أغلب أجرام السماء كتلتها كبيرة ومذهلة في ضخامتها، فإن الجاذبية العامة هي الرباط الحقيقي لتلك الكتل على الرغم من ضخامة المسافات الفاصلة بينها.

obeikandl.com

وهذه القوة الخفية غير المرئية تمثل النسيج الحقيقي الذي يربط كافة أجزاء الكون، وقوى الجذب هذه بين جزيئات المادة وبين الأجرام وبعضها تتحكم في شكل المادة، فهي التي تحكم تكور الأرض، وتكور كافة أجرام السماء، وتكور الكون كله ودوران الأجرام السماوية كلٌ حول محوره، ونجد أنه بداخل جزيئات المادة يدور الإلكترون حول النواة كمثل هذا النظام، ورغم تعدد المدارات وتداخلاتها يبقى الجرم السماوي في مداره المحدد بتعادل دقيق بين كل من قوى الجذب إلى الداخل بفعل الجاذبية وبين قوى الطرد إلى الخارج بفعل القوة الطاردة المركزية.

وقوة الجاذبية العامة تعمل على تحدب الكون، أي: تكوره، وتجبر كافة صور المادة والطاقة على التحرك في السماء في خطوط منحنية أي في عروج لذلك فالقرآن الكريم يأتي بلفظ العروج عند الإشارة للصعود في السماء وهذا من أبلغ الإعجاز القرآني، كذلك قوة الجاذبية تعمل على حفظ الأغلفة الغازية والمائية والحياتية للأرض وتحدد سرعة الإفلات من سطحها وبذلك يمكن إطلاق الصواريخ والأقمار الصناعية ويفرض العلماء أن جاذبية الأرض ناتجة عن دورانها حول محورها واحتوائها على الحديد بنسب كبيرة وبذلك فإن مجال الأرض المغناطيسي ناتج عن دوران لبها السائل الذي يتكون أساسًا من الحديد.

ولقد وجد العلماء بعد الكثير من الدراسات الكونية بأن هناك قوى مستقرة في كل من الذرات والجزيئات، وفي كافة أجرام السماء تحكم بناء الكون وتُمسك بأطرافه ومنها القوة النووية الشديدة، وهي القوة التي تقوم بربط الجزيئات الأولية للمادة في داخل نواة الذرة برباط متين مثل البروتونات والنيوترونات ولبناتها الأولية تسمى بالكواركات وهي التي يتم بها دمج والتحام نوى الذرات مع بعضها البعض في عمليات الاندماج

النووي التي تتم في داخل النجوم وتسمى هذه القوة بالقوة الشديدة وتعمل داخل نوى الذرات.

وهناك القوة الكهربائية المغناطيسية وهي التي تربط بين الذرات وبعضها في داخل جزيئات المادة مما يعطي للمواد صفاتها الطبيعية والكيميائية ولولا ذلك لما كانت هناك مركبات وعناصر ولما كانت هناك حياة على الإطلاق، وهذه القوة هي التي تؤدي إلى حدوث الإشعاع الكهرومغناطيسي على هيئة فوتونات الضوء أو ما يعرف باسم الكم الضوئي، وتنطلق الفوتونات بسرعة الضوء لتؤثر في جميع التفاعلات الكيميائية والعمليات الفيزيائية، وهناك قوة الجاذبية والتي تربط كما أشرنا بكتل الأجسام ومواقعها.

فكلما تقاربت أجرام السماء وزادت كتلتها زادت قوى الجذب بينهما، ومن حكمة الله تعالى أنه جعل دوران الأجرام حول نفسها ينشأ عنه قوة طاردة مركزية تضاد الجاذبية حتى لا تصطدم الأجرام المتجاذبة ببعضها، وكذلك كلما زاد بُعْد النجم عن الآخر قلَّت الجاذبية وبذلك يكون التوازن، وبذلك يطلق على السماء لفظ البناء حيث تنتشر الكواكب المختلفة في السماء وكل كوكب من هذه الكواكب الهائلة العدد بمثابة اللبنات الأساسية والتي يربطها الله تعالى بعضها ببعض بقوى خفية هي قوة الجاذبية من نفس مادة الفضاء، كما جعل بين البحار فاصلًا وسورًا حاجزًا ليس من الصخور ولكن من نفس مادة الماء وهو البرزخ.

إنها طلاقة قدرة الله التي لا تماثلها قدرة وهناك أيضًا موجات الجاذبية التي تنطلق من الأجسام والتي سوف نشير إليها عند الحديث عن التماثيل وانجذاب الشياطين لها حيث تنجذب لتلك الأشعة وكأنها تشم رائحتها وفي ذلك يبدو ويتضح

الإعجاز في تحريم التماثيل حيث تنجذب الشياطين لتلك الأشعة إذا كانت مصحوبة بصورة موحية ولكنها تصبح أشعة عادية إذا تم تغيير هيئة التمثال بقطع الرأس مثلًا وهذه الموجات الكهرومغناطيسية يرى العلماء أن مصدرها هو تحرك الجسيمات المشحونة بالكهرباء مثل الإليكترونيات والبروتونات الموجودة في ذرات العناصر والمركبات، ومع حركتها تكون مصحوبة بإشعاعات من الموجات الكهرومغناطيسية.

ولقد اكتشف العلماء ترابط كل مجرات الكون بواسطة قوى الجاذبية وكأنها الخيوط العظمى التي لا يمكن إدراكها بالعين المجردة أو تمثيل أسرار تلك القوة وذلك ما يشير إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾.

(الرَّعْد: ٢)

ويقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحج: ٦٥).

١١- حقيقة النجوم والوصف القرآني:

إن المتأمل في السماء يرى النجوم هي المصابيح للسماء الدنيا، ويصف العلماء تلك المصابيح بأنها عبارة عن أجرام غازية في غالبيتها وهي ضخمة الحجم وتبدو لنا ضئيلة لتعاظم أبعادها عنا.

فأقرب نجم إلينا هو الشمس وتبعد عنا حوالي مائة وخمسين مليون كم، ومن النجوم من يبعد عنا بأكثر من عشرة بلايين من السنين الضوئية، والنجوم أجرام سماوية شديدة الحرارة، ملتهبة ومشتعلة ومضيئة بذاتها، يغلب على تركيبها غاز الأيدروجين، ويليه في الكثرة غاز الهليوم والقليل من العناصر الأخرى الأثقل وزنًا وبدوران النجم

حول محوره يحدث التجاذب الداخلي إلى مركز النجم ويؤدي ذلك إلى اتحاد نوى ذرات الأيدروجين مع بعضها البعض بالاندماج أو الانصهار النووي.

وينطلق عن ذلك كميات هائلة من الطاقة على هيئة عدد من الإشعاعات الكهرومغناطيسية التي من أهمها الضوء والحرارة، ونتيجة لتلك التفاعلات التي تحول العناصر بداخل النجم من عنصر إلى آخر نتيجة للاندماج النووي وعند ذلك يتقلَّص حجم النجم بالتدريج وتزيد كثافته وترتفع حرارته باستمرار حتى ينتهي النجم عند مرحلة معينة، وتسمى هذه المراحل بدورة حياة النجوم.

وتبدأ حياة النجم بالدخان الذي نشأ عن انفجار الجرم الأولى للكون، حيث تتجمع جزيئات الدخان وتنجذب نحو المركز الذي تكون نتيجة التصادمات المستمرة والدوامات التي تعمل على تركيز المادة وبث الأشعة تحت الحمراء، فيتكون الجرم الابتدائي، وتستمر التفاعلات في هذا النجم حيث يتحول الأيدروجين إلى هليوم ثم عناصر أثقل كالكربون والنتروجين والأكسجين ثم يتحول لب النجم إلى الحديد فتتوقف عملية الاندماج النووي ويدخل النجم في مرحلة الاحتضار حيث ينفجر ويثري كواكب أخرى تحتاج إلى معدن الحديد، لذلك فإن الحديد أُنزل إلى الأرض من السماء نتيجة لانفجار تلك النجوم كما أشار بذلك القرآن الكريم.

وهذه النجوم تمر بمراحل عديدة قبل الانفجار حيث يتضاءل قطرها شيئًا فشيئًا فهي في البداية ربما منها ما يزيد قطره عن أربعمائة ضعف قطر الشمس، أي نحو خمسمائة وستين مليون كم، ومنها الأقزام البيض، التي لا تتعدى أطوال أقطارها واحد من مائة من طول قطر الشمس أي حوالي ١٤٠٠٠كم، ومنها النجوم النيترونية التي لا يتعدى قطر الواحد منها ستة عشر كم، ومنها النجوم الخانسة الكانسة والتي يتكدس

فيها النجم على ذاته إلى درجة كبيرة وهو رغم ذلك يكنس ما يقابله من صور المادة والطاقة حتى يتكدس على ذاته تمامًا.

ويتضاءل قطر النجم إلى درجة كبيرة وكأنه يعيد صورة النجم الأول الذي تكدس على ذاته في بداية الكون ثم انفجر، فكانت منه الكواكب والنجوم، ولقد أقسم الله تعالى وأشار لتلك النجوم التي تكنس في السماء وحين تتكدس على ذاتها ويتحول لبها إلى الحديد تتوقف عن التوهج ولا ينفذ منها ضوء فتخنس وتختفي، أشار إليها في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ (التكوير: ١٥-١٦).

وغالبية نجوم السماء من النوع العادي وتسمى نجوم النسق الرئيسي حيث يكون حجم النجم هائلًا وتستمر به عمليات الانشطار النووي والتفاعلات، والتي تؤدي إلى توهج النجم بذاته وهذه الفترة تسمى فترة الشباب بالنسبة للنجوم وتتميز هذه المرحلة بتعادل دقيق بين قوى التجاذب إلى مركز النجم نتيجة لدوران النجم حول محوره، وقوة الدفع إلى الخارج.

وهي القوة الطاردة المركزية نتيجة لتمدده بالحرارة الشديدة الناتجة عن عملية الاندماج النووي في لبه، وذلك يفسر تكدس النجم على ذاته كلما قلت عملية الانشطار النووي لقلة درجة الحرارة، فتتغلب قوى الجذب في فترة الشباب هذه حتى ينفذ وقوده من غاز الأيدروجين، أو يكاد ينفذ فيبدأ بالتوهج الشديد حتى تصل شدة إضاءته إلى مليون مرة قدر شدة إضاءة الشمس، ثم يبدأ في الانكدار التدريجي حتى يُطمس ضوؤه بالكامل ويختفي على هيئة النجم الخانس الكانس الذي أشرنا إليه.

ومن النجوم المنكدرة ما يُعرف باسم الأقزام البيض والنجوم النيترونية وغيرها من صور انكدار النجوم ولقد أخبر الله تعالى رسوله ﷺ منذ ألف وأربعمائة

عام بكل تلك المراحل في حياة النجوم ولم تكن هناك مثل تلك الاختراعات الحديثة التي اكتشفوا بها كل ذلك ونجد هذا في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ (التكوير: ١-٢). ويقول تعالى عن النجوم التي يطمس ضوؤها: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (المرسلات: ٨).

وكما تختلف النجوم في أحجامها فإنها تختلف في كثافتها فكلما زاد حجم النجم قلت كثافته وكلما قل حجم النجم زادت كثافته وتعتبر كثافة النجم دالة قوية على مرحلة تطوره فكلما زادت كثافة النجم كان أكبر عمرًا وأقرب إلى نهايته من النجوم الأقل كثافة، ومن صفات النجوم أن التي تشتد الحرارة بها تبدو زرقاء اللون فالشمس على حقيقتها بعد عبور طبقة الغلاف الجوي تبدو كقرص أزرق في صفحة السماء السوداء.

والنجوم الأقل حرارة تبدو حمراء اللون، لذلك يشعر من يعبر طبقة الغلاف الجوي ويصل إلى طبقة الظلام الكوني ويرى الشمس على حقيقتها قرص أزرق في صفحة السماء السوداء وبقية النجوم يرى منها الأزرق، والأحمر، وغير ذلك من صور الفضاء يشعر أنه سُكر بصره أو اعتراه شيء من السحر كما قال بذلك أحد رواد الفضاء ولقد أخبرنا الله تعالى عن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾ (الحجر: ١٥-١٦).

وتتفاوت درجة حرارة النجوم حيث تصل درجة حرارة سطحها بين ٢٣٠٠ درجة مطلقة في النجوم الحمراء وأكثر من خمسين ألف درجة مطلقة في النجوم الزرقاء وتتفاوت النجوم أيضًا في درجة حرارة جوفها بين عشرات الملايين في نجوم النسق الرئيسي ومئات البلايين من الدرجات في المستعرات وما فوقها.

وتمر النجوم بمراحل في شدة إضاءتها فهي تتوهج إلى درجة تصل إلى أكثر من مليون ضعف إضاءة الشمس في العمالیق الحمر، والعمالیق العظام، والمستعرات وما فوقها، ثم تقل شدة الإضاءة إلى واحد من ألف من شدة إضاءة الشمس في النجوم المنكدرة مثل الأقزام البيض، والنجوم النيترونية، ثم يقل الضوء إلى الطمس الكامل والإظلام التام في النجوم الخانسة الكانسة (الثقوب السود) ومثيلها من النجوم المنتشرة في ظلمة الكون، ويشير العلماء إلى أن نواتج انفجارات النجوم تُقذف إلى صفحة السماء على هيئة موجات لافحة من الكتل القاذفة الملتهبة، وهي قد تدور في مدارات حول نجوم أخرى لتتخلق منها أجرام تتبع تلك النجم أو تشارك بمادتها في ميلاد نجوم جديدة، أو تصل أجزاؤها المكونة من الحديد إلى كوكب آخر تحتاج إليه كالكوكب الأرضي.

ولقد كان كوكب الأرض في بدايته عبارة عن كومة من الرماد فاندفعت عليه كتل الحديد الناتجة من انفجارات المستعمرات ولقد كانت تحدث تلك الانفجارات بعدد كبير في بداية انفجار الكون فاندفع الحديد إلى قلب تلك الكومة بحكم كثافته العالية وسرعته المندفع بها فانصهر في قلبها وصهرها وميزها إلى طبقات حيث يقل نسبة الحديد في الأرض كلما اتجهنا من لب الأرض إلى ناحية القشرة، وثبت بذلك أن الحديد في أرضنا بل في المجموعة الشمسية بالكامل قد أنزل إليها إنزالًا حقيقيًا كما أشارت الآية الكريمة في سورة الحديد: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد: ٢٥).

ومن رحمة الله تعالى أن تلك النيازك الحديدية الآن تهبط في المناطق غير الآهلة بالسكان في الصحاري البعيدة لتعوض ما تفقده من معدن الحديد[١] باستخدامات الإنسان حتى تظل الأرض تحتفظ بمجالها المغناطيسي، وقدرتها على الاحتفاظ بالغلاف الغازي، ويشير العلماء إلى أن الأرض يهبط إليها سنويًا ملايين الأطنان من النيازيك الحديدية والحديدية الصخرية.

ولدى هؤلاء العلماء الصور المتعددة للفوهات الحادثة في أماكن ارتطام النيازك بالأرض، ولكن انفجار المستعرات التي كانت تحدث بكثرة في بداية انفجار الكون أصبحت قليلة جدًا بالنسبة لنشاطها في بدء الخلق، وأصبحت الآن لا يتعدى وقوعها سوى مرة واحدة كل عدة قرون... فسبحان الخالق الرحيم المهيمن الذي جعل كل شيء بقدر.

١٢- مد الظل وآية من آيات الله:

إن مد الظل هو آية من آيات الله تعالى وهو يدل على دوران الأرض وعلى ميل محور دورانها حول محورها، ولو أن الأرض سكنت وظلت غير متحركة حول الشمس وكذلك انعدم دورانها حول محورها لسكن الظل ولظلت أشعة الشمس مسلطة على نصف الأرض فقط، بينما يظل النصف الآخر ليلًا.

وبذلك يختل التوازن الحراري على الأرض وتهلك بذلك الكائنات فتتجمد مناطق وتحترق مناطق أخرى، وينعدم حدوث الفصول الأربعة حيث تنوع المناخ يؤدي

---

(١) أشار إلى تلك الحقيقة الدكتور زغلول النجار في إحدى القنوات المرئية، وتحدث عنها الشيخ/ عبد المجيد الزنداني في مناظراته بعنوان «شهادات علماء الغرب».

إلى تنوع النباتات، ولو لم تدر الأرض حول محورها ودارت حول الشمس فقط فيصبح اليوم سنة كاملة، وبذلك يختل نظام الكون وكذلك لو أن الله تعالى خلق الأشياء كلها شفافة لما وجد الظل ولانعدمت فرص الحياة أمام الكائنات التي تحتاج إليه يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ (الفرقان: ٤٥).

١٣- الشمس والقمر والنظام الحسابي:

لقد سجلت البحوث الكثير من الحسابات الدقيقة التي تمر بها الشمس أو القمر أثناء جريانهم في أفلاكهم، ولم يعرف العلماء هذا الحساب الدقيق إلا منذ ثلاثمائة عام فقط حيث تم التعرف على حركة الشمس الظاهرية وكذلك حركة القمر وأن ذلك يتم في مدارات فلكية طبقًا لقوانين الجاذبية وطبقًا لحسابات رياضية وأزمنة معروفة ومن خلال ذلك يتم التعرف على أشهر الحج والصيام وسائر العبادات.

ومن ذلك نعرف بداية السنين ونهايتها، حيث يظهر القمر هلالًا في مواعيد معينة ثم يصير بدرًا في مواعيد أخرى بحسب دورانه، وكذلك لم يكتشف العلماء سرعة الشمس وجريانها إلا منذ فترة قريبة فهي تجري والكواكب الأخرى في الفضاء الكوني بسرعة شديدة يقول تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ (يس: ٣٨).

إن اكتشاف جريان الشمس تمكن من معرفته العلماء بواسطة أجهزة خاصة لم تكن موجودة في عصر النبي ﷺ مما يثبت لنا أنه كان لا ينطق عن الهوى وإنما هو الوحي من السماء.

١٤- البأس الشديد والمنافع في معدن الحديد:

وصف العلماء الحديد بأنه عنصر فلزي شديد البأس حيث إنه من أكثر العناصر ثباتًا وذلك لشدة تماسك مكونات النواة في ذرته التي تتكون من ٢٦ بروتون و٣٠ نيترون و٢٦إليكترون ولذلك فإن نواة ذرة الحديد تمتلك أعلى قدر من طاقة التماسك بين جميع نوى العناصر الأخرى ولذلك فهي تحتاج إلى كميات هائلة من الطاقة لتفتيتها أو الإضافة إليها.

ويتميز الحديد وسبائكه بأعلى قدر من الخصائص المغناطيسية والمرونة القابلة للطرق والسحب والتشكيل، لذلك تُصنع منه الآلات الزراعية باستخداماتها المختلفة، وله القدرة على مقاومة الحرارة فلا ينصهر إلا عند درجة ١٥٣٦درجة مئوية ويغلي عند درجة ٣٠٢٣م، وأما بالنسبة لمنافع الحديد فله فوائد كثيرة تبدأ بأن له من الفوائد ما يجعل الأرض صالحة للعمران، فكمية الحديد الموجودة في لب الأرض الصلب والسائل تعمل على توليد المجال المغناطيسي للأرض وهو الذي يُمسك بكل من الغلاف الغازي والمائي والحيوي للأرض، وفي ذلك الفائدة الكبيرة حيث إن الغلاف الغازي يحمي الأرض من الإشعاعات الضارة، ومن ملايين الأطنان من النيازك التي تحترق عند الاحتكاك به قبل الوصول للأرض، ويساعد على ضبط دورة العناصر الموجودة في الأرض كالماء والأكسجين وثاني أكسيد الكربون والأوزون وغير ذلك من العمليات اللازمة لجعل الأرض كوكبًا صالحًا للعمران.

والحديد أساسي في بناء الخلية الحية في كل من النبات، والحيوان، والإنسان، حيث تدخل مركبات الحديد في تكوين المادة الخضراء في النباتات «الكلورفيل» وهو المكون الأساسي للبلاستيدات الخضراء التي تقوم بعملية التمثيل الضوئي وإنتاج

أنسجة النبات المختلفة من أوراق وأزهار وثمار وغير ذلك، والتي عن طريقها يدخل الحديد على أنسجة ودماء كل إنسان يتناول هذه النباتات.

وكما ذكرنا سابقًا أن عملية التمثيل الضوئي هي الوسيلة الوحيدة لتحويل طاقة الشمس إلى روابط كيميائية تُختزن في أجساد جميع الكائنات الحية وتكون مصدرًا لنشاطها أثناء حياتها، ومصدرًا للوقود والطاقة بعد تحللها.

والحديد يدخل في تركيب بروتينات نواة الخلية الحية الموجودة في المادة الحاملة للشفرة الوراثية للخلية وهي الصبغات، كما يوجد في سوائل الجسم المختلفة، وهو أحد مكونات الهيموجلوبين، وهي المادة الأساسية في كرات الدم الحمراء، ويقوم الحديد بدور مهم في عملية الاحتراق الداخلي للأنسجة، والتمثيل الحيوي بها، ونقص الحديد في الجسم يؤدي إلى الأنيميا أو فقر الدم، والحديد هو عصب الصناعات المدنية والعسكرية، ولا تكاد صناعة معدنية أن تقوم في غيبة الحديد، يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد: ٢٥).

١٥- أفلاك النجوم ومساراتها:

من حصاد العلوم في تلك العصور وبواسطة الأجهزة الحديثة والتلسكوبات التي تقرب عن بعد، أن لكل جرم سماوي مداره الخاص الذي يسبح فيه، وهي لا تعرف السكون، كما أنها تتحرك في مسارات خاصة هي الأفلاك، ومن رحمة الله تعالى أنه خلق الليل والنهار وذلك بقدرته وأمره بدوران الأرض حول محورها، ولولا ذلك لما حدث تعاقب الليل والنهار.

ومن الإعجاز القرآني أنه لم يكن أحد منذ ألف وأربعمائة عام يعلم شيئًا عن دوران الكواكب، وأنها تسبح في أفلاك لا تحيد عنها، وغير ذلك من الحقائق، ولقد أخبر الله تعالى نبيه بذلك وضرب مثلًا بالشمس والقمر حيث يتمكن الناظرون من رؤيتهم بوضوح، يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴾ (الأنبياء:٣٣).

إن رؤية حركة النجوم في أفلاكها لم تكتشف إلا حديثًا وأخبرنا الله تعالى عنها منذ ألف وأربعمائة عام، فسبحان علام الغيوب.

١٦- السراب حقيقة وظاهرة ضوئية:

لقد فسر العلماء السراب بأنه ظاهرة ضوئية سببها انعكاس الشعاع المنبعث من الأجسام المضيئة وارتدادها من سطح أرض فسيحة جرداء، فالصحاري حين ترتفع درجة حرارتها أثناء النهار فيتجه الشعاع المنعكس حتى يصل إلى الراصد، وعندها ترى صور الأجسام المضيئة مقلوبة كما لو كانت مرآة كبيرة ممتدة.

وكذلك تظهر صورة السماء الزرقاء الصافية كأنها بحيرة من الماء على أديم الأرض، بينما تظهر باقي الأجسام مثل الأشجار والنخيل مقلوبة، مما يشير إلى وجود الماء ظاهريًا وكأنه الماء الجاري، وتحدث هذه الظاهرة بسبب الفرق بين درجة حرارة سطح الأرض والهواء الملامس لهذا السطح، وتُشاهد ظاهرة السراب عادة في الصحاري والمناطق المنبسطة(١) وهي مجرد وهم كما وصفها الله تعالى في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً ﴾ (النور:٣٩).

(١) ملخص ما أشار إليه الدكتور/ أحمد فؤاد باشا في إحدى الحلقات المسموعة حول تلك الظاهرة.

١٧- الإعجاز في خلق الجبال والسبل:

إن من نعم الله تعالى أنه خلق الجبال لإرساء الأرض وحفظًا لتوازنها، وجعل من تلك الجبال صخورًا من نفس مادتها في باطن الأرض كالأوتاد لتثبت على سطح الأرض الكروي، ولقد أثبت العلم الحديث أن توزيع اليابس والماء ووجود سلاسل الجبال والمجال المغناطيسي للأرض بما تحتويه من معادن وبخاصة معدن الحديد يحقق لها التوازن والوضع الذي هي عليه فلا تميد ولا تختل.

ولقد أثبت العلم أيضًا أن هناك توازنًا في توزيع الأثقال على سطح الكرة الأرضية من خلال الدراسات الجيولوجية، ولقد وجد العلماء أن ارتفاع الجبال أحدث السهول والوديان والممرات والسبل فكانت طرقًا وفجاجًا، ويخبرنا الله تعالى عن تلك الحقائق منذ أربعة عشر قرنًا في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣١).

١٨- أهمية الماء والوصف القرآني:

إن أهمية الماء في حياة الكائنات حقيقة أثبتها العلم بكل فروعه، ففي علم الخلية ثبت للعلماء أن الماء هو المكون الهام والأساسي في تركيب مادة الخلية، وهي وحدة البناء في كل كائن حي نباتًا كان أو حيوان... وأثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لجميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل جسم الأحياء وهو إما وسط أو عامل مساعد أو داخلًا في التفاعل أو ناتجًا عنه.

وأثبت علم وظائف الأعضاء أن الماء ضروري لقيام كل عضو بوظائفه الحيوية التي بدونها لا تتوفر له مظاهر الحياة ومقوماتها، ولا ننسى ضرورة الماء في إنبات

البذور، وسقي الزروع، وخروج النباتات المختلفة التي يتناولها الإنسان والحيوان، ولقد أشار القرآن الكريم لأهمية الماء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾.

(الأنبياء: ٣٠)

١٩- إشارة قرآنية وحقيقة علمية:

وصَف العلماء كلمة ربوة بأنها أي مكان عال خصب التربة، حيث بارتفاعها تبعد عن المياه الجوفية فيغوص المجموع الجذري في التربة ولا يضره الماء، كذلك تتضاعف عدد الشعيرات الماصة لأكبر كمية من الغذاء لسيقان المجموع الخضري فيعمل ذلك على مضاعفة المحصول، وكذلك فإن وابل المطر الذي يصيبها يذيب بعض المواد والعناصر التي تحتاج إليها النباتات[1]، ويغسلها مما يعطل نموها، كما يغسلها من الآفات، وإذا لم يصبها المطر فإن ارتفاعها يجعلها تنتفع بالطل وهو مطر الضباب الخفيف وهو يكفيها لارتفاعها فيكثر الإنتاج سواء كثر المطر أو قل.

ويصف الله تعالى لنا تلك الحقيقة العلمية مع التمثيل لها بالمنفقين في سبيل الله بأن ما ينفقونه خير في جميع الأحوال سواءً أقل أو أكثر يقول تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(البقرة: ٢٦٥)

---

(١) بحث علمي عن الإعجاز في كونيات الزراعة في وصف خصائص الربوة حيث تتعرض لماء المطر، أو الطل، ولا تضرها المياه الجوفية.

openkanal.com

٢٠- الإعجاز في اختلاف الليل والنهار:

إن الذي يتفكر في السماوات يجد نجومًا هائلة وكواكب مختلفة، وهي تدور في أفلاك منتظمة ورغم عظم أحجامها فهي لا تقع على الإنسان، ويجد المنافع المتعددة التي ينتفع بها الإنسان مع تلك النعم، فالشمس تنير الكون وتبعث بدفئها وهي لازمة لحياة الإنسان والحيوان والنبات كذلك، نجد القمر ليلًا له وظيفته أيضًا، حيث يبعث بضوئه الخفيف ليلًا بحسب حاجة الإنسان، حيث إن الليل جعله الله لراحة الإنسان فهو ضوء بقدر الحاجة، بعكس ضوء الشمس الذي يحتاجه الإنسان في سعيه إلى عمله.

وكذلك فإن اختلاف الليل والنهار فيه النفع للإنسان وللكائنات المختلفة، هذا التنظيم بالفعل هو ما يتحقق به التوازن فالجسد يحتاج بالفعل إلى النوم وإلى الراحة بعد العمل وبذل الجهد، وبالفعل لا يحتاج الإنسان ليلًا ضوءًا وهاجًا، بل ما ينسجم مع احتياجه في هذا الوقت هو الضوء الخافت، ولذلك كان القمر ليلًا والشمس نهارًا، كذلك هناك الاختلاف الزمني في الليل والنهار حيث أحيانًا يطول الليل أو يقصر وكذلك النهار وذلك تأثرًا بفصول السنة.

وكذلك يختلف الليل عن النهار في أن إضاءة الشمس تحجب نهارًا نجومًا وكواكب ونيازك وشهب تسري في السماء، بينما تظهر واضحة أثناء الليل، وتختلف أنواع الإشعاعات أثناء النهار وعند الغروب حيث نرى الألوان المختلفة والبديعة في السماء بصورة تريح النفس وتُذكر بإبداع الخالق فتردد الألسنة كلمات الذكر والتسبيح وسؤال الجنة والوقاية من النار.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩١).

٢١- الماء والينابيع في الأرض:

اكتشف العلماء أن الماء الموجود على سطح الأرض خرج منها عن طريق الانفجار الذي حدث في بداية الكون، حيث خرجت كميات كبيرة من بخار الماء فتكون الغلاف المائي للأرض، وخرجت كميات كبيرة من الغازات فتكون الغلاف الغازي لها، ووجد العلماء أن أكثر الغازات اندفاعًا من فوهات البراكين هو ثاني أكسيد الكربون، وهو الأساس في عملية البناء الضوئي للنباتات، وبناء الأنسجة والأوراق والثمار لها، وهو ما يعبر عنه بالمرعى، ولقد صاحب خروج كل تلك الكميات من حمم البراكين والأبخرة المائية ومختلف العناصر صفة الدحو للأرض، يقول تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ (النَّازِعَاتِ: ٣٠-٣١).

ومن الأعجاز القرآني أيضًا ما ثبت أخيرًا من أن المياه التي تسقط على الأرض توجد على أعماق بعيدة، وثبت أن بعض مياه البحار والمحيطات، والتي تكونت أيضًا بفعل الأمطار الغزيرة بعد تكثف أبخرة البراكين منذ بداية الانفجار الكوني، ولا يزال خروج الماء مستمرًا من داخل الأرض عبر الثورات البركانية حتى الآن، ووجد العلماء أن بعض تلك المياه في البحار والمحيطات تتحرك مع رسوبيات قيعانها الزاحفة إلى داخل الغلاف الصخري للأرض بتحرك تلك القيعان تحت كتل القارات، ويتسرب الماء إلى داخل الغلاف الصخري للأرض عبر شبكة هائلة من الصدوع والشقوق التي تمزق ذلك الغلاف في مختلف الاتجاهات، وتحيط تلك الصدوع بالأرض بعمق يتراوح بين ١٥٠،٦٥كم ويخبرنا الله تعالى عن ذلك في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الزُّمَر: ٢١).

ولقد كانت الفكرة السائدة أن ماء العيون والأنهار يتفجر من باطن الأرض ولم تُعرف ينابيع المطر إلا في أواسط القرن الثامن، ولقد اكتشفت العلماء مخازن للماء الشديد الملوحة في باطن الأرض على أعماق بعيدة، ومخازن للماء متوسط الملوحة والعذب في باطنها أيضًا حيث يتحرك الماء لأسفل عبر الصخور المنفذة حتى يصل إلى صخور عديمة المسامية، فيخزن في تلك المناطق، وهذا الاختلاف في مسامية الصخور وطبيعتها يؤدي لحفظ الماء عبر الأزمنة المتوالية، ولقد حفظ الله تلك المخازن من أخطار الحركات الأرضية، والثورات البركانية، والمتداخلات النارية، ولولا ذلك لدُمرت مخازن الماء كلها، يقول تعالى في ذلك: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (المؤمنون: ١٨).

٢٢- السير في الأرض يوضح كيف بدأ الخلق:

إنه من خلال أبحاث العلماء وسيرهم في الأرض وبحثهم فيها، اكتشفوا حفريات كثيرة وقطع من الأشجار القديمة، والتي استطاعوا من خلال حلقاتها المكونة لها وبواسطة أجهزة خاصة معرفة مرور الفترات الزمنية منذ بدء الخلق، ومعرفة الأنواع المختلفة من المخلوقات كالإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد، وبذلك تكون آثار الخليقة منذ بدءها منطبعة ومسجلة بين طبقات الأرض، وعلى ظهرها، وهي سجل حافل بالتاريخ منذ البداية حتى الآن، ولازالت الحفريات التي تُكتشف وتتم عليها الدراسات تضيف إلينا الجديد عن بداية الخلق يقول تعالى مشيرًا إلى ذلك: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ (العنكبوت: ٢٠).

٢٣- الإعجاز في وصف السماء بالدخان:

لقد قام علماء الفضاء برحلات استكشافية في الفضاء، وأطلقت وكالة الفضاء الأمريكية مركبة باسم مكتشف الخلفية الإشعاعية للكون، ارتفعت إلى مدار حول الأرض يبلغ ارتفاعها ستمائة كيلو متر فوق مستوى سطح البحر وذلك لقياس درجة حرارة الخلفية الإشعاعية للكون.

وقياس كل من الكثافة المادية، والضوئية، والموجات الدقيقة في الكون المدرك بعيدًا عن تأثير كل من السحب والملوثات في النطاق السفلي في الغلاف الغازي للأرض، وكانت النتيجة هي قدر هائل من المعلومات وملايين الصور لآثار الدخان الكوني الأول الذي نتج عن عملية الانفجار العظيم للكون، وذلك على بعد عشرة ملايين من السنين الضوئية.

وأثبتت تلك الصور أن هذا الدخان الكوني في حالة معتمة تمامًا، تمثل حالة الإظلام التي سادت الكون في مراحله الأولى وكتب جورج سموث أحد المسئولين عن رحلة المستكشف تقريرًا نشرة سنة ١٩٩٢ بالنتائج المستقاة من هذا العدد الهائل من الصور الكونية.

كان من أهمها الحالة الدخانية المتجانسة التي سادت الوجود عقب الانفجار الكوني العظيم، وكذلك درجة الحرارة المتبقية على هيئة خلفية إشعاعية، أكدت حدوث ذلك الانفجار الكبير، وكان لتلك الكشوف أبلغ الأثر في الرد على النظريات الخاطئة التي حاول الملاحدة فيها الجحود بالخالق سبحانه وتعالى والمناداة بديمومة الكون بلا بداية أو نهاية مثل «فريد هويل» في عام ١٩٤٩م و«توماس جولد» وغيرهم.

ولكن بعد إثبات وجود الدخان الكوني والخلفية الإشعاعية للكون بعد إثبات اتساعه ما يجزم بالأدلة القاطعة بأن كوننا مخلوق له بداية وهي مرحلة الرتق والجرم الابتدائي، ولابد من النهاية في يوم من الأيام.

ولقد أكدت الصور التي بثتها مركبة المستكشف للخلفية الإشعاعية كل تلك الحقائق من إثبات حدوث الانفجار الكوني، وفتق السماء والأرض، وأن حقيقة تكوين السماء هي الدخان وليس الضباب كما تصورت النظريات القديمة ويشير الله تعالى لتلك الحقائق منذ ألف وأربعمائة عام بالوحي للرسول ﷺ، والذي لم يكن في عهده مثل تلك السفن الفضائية، بل لقد كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ولكن علَّمه ربه بالوحي من عنده والذي يرقى فوق كل علوم البشر وهم خلق الله من البداية المعروفة وهي الماء المهين، يقول تعالى مشيرًا لما اكتشفه العلماء وحقيقة السماء الدخانية[1]. ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (فُصِّلَتْ: ١١).

٢٤- الوصف القرآني بذات الحبك:

إن لفظ الحبك في اللغة بمعنى شدَّ وأحكم، وكذلك يقال في اللغة: حبك الأمر أي وثقه وشدده، ولقد وجد العلماء من خلال اكتشافاتهم أن هذا اللفظ يتفق تمامًا مع صفة السماء، حيث لاحظ العلماء هذا الترابط المحكم بين الأجرام السماوية، فهناك القوة الشديدة النووية التي تربط نوى الذرات بقوة في عمليات الاندماج النووي،

(١) تقرير نشرة جورج سموث: أحد المسؤولين بوكالة الفضاء الأمريكية عن اكتشافه للهالة الدخانية المتجانسة واعترف العالم يوشيدي كوزاي للشيخ عبد المجيد الزنداني بتلك الحقيقة، وازداد تعجبه حين ترجموا له معنى الآية القرآنية.

وهناك القوة الكهرومغناطيسية، وهناك قوة الجاذبية والتي تتزايد باستمرار حتى تصبح شاملة لاتساع السماء والأرض، حيث تُمسك بأمر الله تعالى مختلف أجرام السماء وتجمعاتها، ولولا هذا الرباط لانفرط عقد الكون في لحظات، ويُفترض وجود قوة الجاذبية على هيئة جسيمات خاصة في داخل الذرة لم تُكتشف بعد حتى الآن.

وقد اقُترح لها اسم الجسيم الجاذب أو الجرافيتون ويُعتقد أنه يتحرك بسرعة الضوء وبذلك تبدو الدقة والترابط المحكم لمادة الكون في أدق دقائقها وبداخل نواة الذرة وترابط نوى الذرات بقوة شديدة، وكذلك يظل هذا الترابط والإحكام رغم اتساع الكون، وينتشر عن طريق الجاذبية بين التجمعات المجرية لتشمل كل الكون، وبذلك يكون ما اكتشفه العلماء بعد عبور الفضاء وبذل الجهود الكثيرة هو أن السماء ذات ترابط شديد محكم وهو ما يشير إليه ربنا تبارك وتعالى منذ ألف وأربعمائة عام في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ (الذاريات: ٧).

أي: ذات الإحكام والترابط الشديد بين مجراتها بفعل الجاذبية، بداية من داخل نوى الذرات وحتى ما بين المجرات، فهو اسم على مسمى لما اكتشفه العلماء بعد الجهود الكبيرة للصعود في الفضاء، حيث درجات الضغط الجوي المختلفة، وحيث الحاجة إلى أجهزة وتلسكوبات تكبر آلاف المرات، وحيث التكاليف المادية التي تقدر بملايين الدولارات فسبحان الله العليم الخبير والذي علَّم الإنسان ما لم يعلم.

٢٥- آية وحقائق وإعجازات عن الصعود إلى الأفق:

أثبتت العلوم الحديثة أن السماء ليست فراغًا كما يعتقد الناس إلى عهد قريب، وثبت أنها بنيان محكم يتعذر دخوله إلا عن طريق أبواب تُفتح للداخل فيه، فلقد ثبت أن السماء مليئة بمختلف صور المادة والطاقة التي انتشرت بعد انفجار الجرم الكوني

الأول، والذي كان يضم كل مادة الكون، ومختلف صور الطاقة المنبثة في أرجائه اليوم، حيث بدأ بسحابة الدخان التي أخذت في التبرد والتكثف حتى وصلت إلى حالة من التوازن الحراري بين جسيمات المادة وفوتونات الطاقة.

وبذلك تكونت بعض نوى الأيدروجين المزدوج، ثم بدأ تخلق النوى الذرية لأخف عنصرين معروفين لنا وهما الأيدروجين والهليوم، ثم تخلقت نسب ضئيلة من العناصر الأثقل وزنًا، ثم تشكلت السدم بواسطة دوامات الطاقة في سحابة الدخان، وهي أجسام غازية تتناثر بين غازاتها بعض الهباءات الصلبة وتدور المادة فيها في دوامات شديدة تساعد على المزيد من تكثفها في سلسلة من العمليات المنضبطة حتى تصل إلى مرحلة الاندماج النووي التي تكون النجوم بمختلف هيئاتها وأحجامها وكثافتها وحرارتها.

ومنها النجوم العادية المفردة والمزدوجة، والمستعرات الشديدة الحرارة، والنجوم البيضاء القزمة ومنها النجوم النيترونية التي تصل كثافة المادة فيها إلى خمسين بليون طن للسم٣، وأشباه النجوم والتي تقل كثافة المادة فيها عنها في شمسنا المعروفة، ومنها الثقوب السود وتصل كثافة المادة فيها إلى مائتي بليون طن للسم٣ وغير ذلك من أجرام السماء المختلفة.

والسماء على اتساعها ليست فراغًا ولكنها مليئة بالمادة على هيئة رقيقة للغاية تشكلها غازات مخلخلة يغلب على تركيبها غاز الهيدروجين والهليوم مع نسب ضئيلة جدًا من الأوكسجين والنتروجين والنيون وبخار الماء وهباءات نادرة من المواد الصلبة والإشعاعات الكونية المختلفة.

وبذلك تكون السماء كالبناء كما وصفها الله تعالى ولبنات هذا البناء هي كل صور المادة والطاقة المنتشرة بها، وحوائط المجرات السابحة في كل مكان، وبذلك ينطبق عليها لفظ الباب في أنه لا يُفتح في فراغ، ولكنه يفتح بين لبنات البناء، وكذلك ثبت علميًا أن حركة الأجسام في الكون لا يمكن أن تسير في خطوط مستقيمة بل لابد لها من الانحناء نظرًا لانتشار المادة والطاقة في كل الكون.

وتأثير كل من جاذبية المادة بأشكالها المختلفة، والمجالات المغناطيسية للطاقة بتعدد صورها، والتي تؤثر على حركة الأجسام في الكون، فأي جسم مادي مهما عظمت كتلته أو تضاءلت لا يمكنه التحرك في الكون إلا في خطوط منحنية حتى الأشعة الكونية بدقائقها المتناهية في الصغر، والأشعة الكونية تتكون من اللبنات الأولى للمادة مثل البروتونات، والنيوترونات، والإليكترونات، فإنها إذا عبرت خطوط أي مجال مغناطيسي منتشر في الكون فإن هذا المجال يحني مسار الشعاع بزاوية معينة.

وبذلك يكون انتشار قوى الجاذبية في الكون قد تسببت في تكور كل أجرامه وكذلك في صور المادة والطاقة بعد الانفجار الأول وما نتج عنه من وجود قوة دافعة إلى الخارج وقوة تجاذب رابطة بين أجزاء المادة وذراتها، وهذا التوازن هو الذي يحفظ أجرام السماء في مداراتها... حيث تتحرك دائرية بخطوط منحنية باستمرار وبذلك تحفظ أجرام السماء في مداراتها، ولولا معرفة حقيقة عروج الأجسام في السماء لما تمكن الإنسان من إطلاق الأقمار الصناعية ولا استطاع ريادة الفضاء، فقد أصبح من الثابت أن كل جرم متحرك في السماء مهما كانت كتلته محكوم بكل من القوى الدافعة له وبالجاذبية مما يضطره إلى التحرك في خط منحنى يمثل محصلة كل من قوى الجذب والطرد المؤثرة فيه، وهو ما يطلق عليه بالعروج أو السير في انحناء.

ولقد اكتشف العلماء أن حزام النهار في نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس لا يتعدى سمكه مائتي كيلو متر فوق سطح البحر، وإذا ارتفع الإنسان فوق ذلك فإنه يرى الشمس قرصًا أزرق في صفحة سوداء لا يقطع ظلمتها إلا لبعض البقع الباهتة الضوء في مواقع للنجوم، حيث إن الهواء في الجزء السفلي من الغلاف الجوي له كثافة عالية وتنقص تلك الكثافة بالارتفاع وهو مشبع ببخار الماء وهباءات الغبار، فيعمل ذلك على تشتيت ضوء الشمس وعكسه حتى يظهر باللون الأبيض الذي يميز النهار بضوئه المعتاد وبعد عبور المائتي كيلو متر فوق سطح البحر يبدو الكون مظلمًا تمامًا، والشمس تبدو على حقيقتها كقرص أزرق في صفحة سوداء.

والنجوم الأقل حرارة تبدو حمراء ملتهبة وذلك لتخلخل الهواء وقلة تركيزه وندرة بخار الماء، وعدم وجود الغلاف الغازي وبذلك يشعر رواد الفضاء في هذه المناطق بعد عبورهم منطقة الضوء بأنهم في كون عجيب حيث تختلف حقيقة الأشياء ومظاهرها، ومن الرواد من وصف شعوره بعد عبور طبقة الغلاف الجوي، بأنه كأنما سكر بصره أو اعتراه شيء من السِّحر، وبما أن المسافة بين الأرض والشمس حوالي مائة وخمسين مليون كم. ومسافة الضوء منها بحوالي ٢٠٠كم فقط فوق سطح البحر، فتكون مساحة الظلمة هائلة بالنسبة لطبقة النهار، وبذلك يظل رواد الفضاء مع عبور هذه الظلمة يرون من عجائب الكون وغرائبه، وبذلك ثبت للعلماء رقة طبقة النهار بالنسبة لمساحة الكون الكبيرة المظلمة، ويصف لنا الله تعالى كل تلك الحقائق التي توصل إليها العلماء في آية كريمة وذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ (الحجر: ١٤-١٥).

وبالفعل التعبير بفتح الباب يثبت عدم الفراغ بالكون، بل البناء المحكم من مختلف صور المادة والطاقة، والباب بالفعل لا يُفتح في فراغ ولكن في بناء، والتعبير باللفظ «فظلوا» يدل على استمرار الظلمة بعد اختراق المسافة التي تقدر بحوالي ٢٠٠كم ابتداءً من سطح البحر وهي ١٥٠ مليون كم حتى الوصول إلى الشمس، ولفظ يعرجون يدل كما أشرنا على انحناء الكون، وعبارة «إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون» هو بالفعل ما شعر به رواد الفضاء واعترفوا به حيث قال أحدهم: لقد أحسست كأنما سكر بصري أو اعتراني شيء من السِّحر، ورقة طبقة النهار بالنسبة لمساحة الليل الكبيرة في الكون يصفها الله تعالى في قوله: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ (يس:٣٧).

واللفظ «نسلخ» يدل على رقة طبقة النهار بالنسبة لعظم مساحة الليل، وسلخ الشاة معناه أخذ الطبقة الرقيقة من جملة لحمها ولذلك لم يقل الله تعالى: «النهار نسلخ منه الليل» فهو العليم الخبير ويصف سبحانه أيضًا تلك الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾ (النازعات:٢٧-٢٩).

ولفظ «**أغطش**» يدل على شدة الظلمة وهو عائد على السماء بمعنى أن الله تعالى قد جعل ليل السماء حالك الظلمة، ومعنى أخرج ضحاها أي: أظهر ضوء الشمس لسكان الأرض فيكون النهار الواضح بينما يبقى معظم الكون غارقًا في ظلمة السماء، وبذلك يكون النهار هو الذي يجلي الشمس ويظهرها حيث تبقى بلونها الحقيقي زرقاء ملتهبة بعد مسافة المائتي كيلو متر ابتداءً من سطح البحر يقول تعالى موضحًا ذلك: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ (الشمس:١-٤).

كما يصف الله تعالى الحركة في السماء بالعروج كما جاء بالآية التي تحدثنا عنها في سورة الحجر وآيات أخرى مثل قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ (سبأ: ٢).

وقوله تعالى ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ (الحديد: ٤)، وكذلك قوله تعالى: ﴿ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

(المعارج: ٣-٤)

ومعنى ذي المعارج أي: مصاعد الملائكة وهي السماوات، وغير ذلك الكثير من الآيات التي تصف الحركة في السماء بالعروج وهو ما أثبته العلماء في عصرنا بعد البحث الطويل وصعوبة عبور الفضاء.

٢٦- النجوم الطارقة والكانسة وكيف تتكون:

النجوم الكانسة هي أجرام سماوية تتميز بكثافتها الفائقة وجاذبيتها الشديدة، بحيث لا يمكن للمادة ولا لمختلف صور الطاقة ومنها الضوء أن تفلت من أسرها وقد أفادت الدراسات والحسابات النظرية في الثلث الأول من القرن العشرين إلى إمكانية وجود مثل هذه الأجرام ذات الكثافات الفائقة والجاذبية الشديدة، وذلك ما أشار إليه العالم الفلكي كارل شفار سنة ١٩١٦م، وروبرت أوبنهاير سنة ١٩٣٤م، ولكنها لم تكتشف إلا في عام ١٩٧١م، بعد اكتشاف النجوم النيترونية.

وأعلن اكتشاف النجوم النيترونية الفلكيان البريطانيان توني وجولسين، حيث أعلنوا اكتشافهم لنجوم قطرها في حدود ١٦كم تدور حول محورها بسرعات مذهلة في

فترة زمنية تتراوح بين عدد قليل من الثواني إلى أجزاء لا تكاد تدرك من الثانية الواحدة وتصدر موجات راديوية كأنها تطرق السماء ولها كثافة فائقة تبلغ بليون طن للسنتيمتر المكعب وذلك في عام ١٩٦٧م وهي تثقب الظلام الكوني بما يصدر منها من ومضات مضيئة وطرقات مرتفعة ولقد أشار الله تعالى لتلك النجوم في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ (الطارق: ١-٣).

وفي عام ١٩٧١م اكتشف علماء الفلك أن بعض النجوم تُصدر وابلًا من الأشعة السينية، ولم يجدوا تفسيرًا علميًا لذلك حيث إن النجوم العادية ليس في مقدورها إصدار الأشعة السينية من ذاتها ولكن لابد من تعرضها لأجرام سماوية غير مرئية ذات كثافة خارقة للمادة، وجاذبية عالية، وقد سميت تلك النجوم المختفية باسم الثقوب السود؛ وذلك لقدرتها الفائقة على ابتلاع كل ما تمر به أو يدخل في نطاق جاذبيتها من مختلف صور المادة والطاقة، من مثل الغبار الكوني والغازات والأجرام السماوية المختلفة، ووصفت بالسواد لأنها معتمة تمامًا لعدم قدرة الضوء على الإفلات من مجال جاذبيتها على الرغم من سرعة الضوء الفائقة التي تصل إلى ثلاثمائة ألف كم في الثانية.

وهذه المادة بجاذبيتها الشديدة تكنس النجوم في السماء وتبتلع ما يقابلها من صور المادة والطاقة، ثم تتكدس على ذاتها نتيجة للتفاعلات النووية التي تحدث بداخلها فيتحول قلبها إلى الحديد فتخنس ولا تُرى، ولم تُدرك إلا عن طريق سيل الأشعة السينية المتجه نحوها ولقد أقسم الله تعالى في القرآن الكريم بتلك النجوم الخانسة في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ (التكوير: ١٥-١٦).

وتخنس هذه النجوم وتختفي عندما تبدأ كمية الأيدروجين بداخل النجم في التناقص نتيجة لعملية الاندماج النووي، وتبدأ كمية الهليوم الناتجة عن تلك العميلة في

التزايد، وعندها تبدأ طاقة النجم في الاضمحلال تدريجيًا وترتفع درجة حرارة قلب النجوم إلى عشرة ملايين درجة كلفن.

وتبدأ دورة جديدة من عملية الاندماج النووي تؤدي إلى انبعاث المزيد من الطاقة التي تعمل على مضاعفة حجم النجم إلى مئات الأضعاف فيطلق عليه اسم العملاق الأحمر، وتتوالى عملية الاندماج النووي ويستهلك النجم المزيد من طاقته فيتقلص وينهار إلى قزم أبيض أو إلى نجم نيتروني أو إلى ثقب أسود حسب كتلته الابتدائية التي بدأ تواجده بها.

فإذا كانت الكتلة الابتدائية للنجم أقل من كتلة الشمس فإن الإليكترونات في مادة النجم تقاوم عملية تقلصه ثم تنهار إلى قزم أبيض وهو أقل قليلًا من حجم الأرض، ويتعرض النجم للضغط الشديد وتحدث انفجارات نووية هائلة، فإذا زاد تراكم الضغط بداخل النجم فإنه ينفجر انفجارًا كاملًا محدثًا نورًا في السماء يقارب نور بليون شمس كشمسنا، وتُسمى هذه المرحلة باسم النجم المستقر الأعظم، ويفنى بذلك القزم الأبيض ويتحول إلى دخان وتحدث هذه الظاهرة مرة كل قرن من الزمان لكل مجرة تقريبًا.

والحالة الثانية إذا كانت الكتلة الابتدائية للنجم أكبر من كتلة الشمس بمرة ونصف فينهار النجم عند استهلاك طاقته متحولًا إلى نجم نيوتروني وفيه تتحد البروتونات، والإلكترونات، منتجة النيترونات، وهذا النجم النيتروني ينبض حوالي ثلاثين نبضة في الثانية الواحدة مُحدثًا أصوات كالطرق على الباب وتثقب الظلام الكوني بوميضها، وقد يستمر هذا النجم في الانهيار حتى يصل إلى مرحلة الثقب الأسود، وذلك في الحالة الثالثة إذا زادت الكتلة الابتدائية للنجم على خمسة أضعاف كتلة

الشمس فلا يتمكن أي من الإليكترونات والنيوترونات من مقاومة عملية التقلص التثاقلي للنجم، فتستقر حتى يصل النجم إلى مرحلة الثقب الأسود حيث يخنس النجم ولا يرى، وهو أيضًا يكنس كل الأجرام السماوية بمجرد الاقتراب من مجال جاذبية تلك النجوم وسبحان العليم الخبير الذي أشار لتلك النجوم منذ ألف وأربعمائة عام تأييدًا لصدق نبوة رسول الله ﷺ وإثباتًا يؤكد أنه كان لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

٢٧- السماوات السبع وحدود ما يدركه البشر:

إن العلم البشري رغم هذا التقدم يقف عاجزًا عن إدراك حدود السماء الدنيا فقط فضلًا عما فوقها من السماوات.. ويُحصي علماء الفلك أن بمجرتنا دَرْب التَّبَّانة نحو التريليون نجم كشمسنا، أي ألف بليون أو مليون مليون نجم.. ولكل نجم من تلك النجوم توابع كما هو الحال بالنسبة لشمسنا، ويقدر علماء الفلك أن مركز مجرتنا عبارة عن ثقب أسود أو أكثر من ثقب أسود، والذي تقدر كتلته بمئات الآلاف من المرات قدر كتلة الشمس.

وتوجد أغلب المجرات في مجموعات تُعرف باسم التجمعات المجرية، ويحصى علماء الفلك بالجزء المدرك من الكون حوالي مائتي ألف مليون مجرة من أمثال مجرتنا، بعضها أكبر كثيرًا وبعضها أصغر قليلًا منها ومجرتنا على هيئة قرص مفلطح يبلغ قطره مائة ألف سنة ضوئية، وسمكه حوالي عشرة آلاف سنة ضوئية والمجرات منها ما هو حلزوني الشكل، أو بيضاوي أو غير منتظم، والمجرات الحلزونية هي أكثر المجرات إضاءة في الجزء المدرك من الكون.

وإذا كان الإنسان قد توصل إلى تحقيق سرعة الإفلات من جاذبية الأرض فارتاد الفضاء فإن سرعة الإفلات من الجزء المدرك من السماء الدنيا لا تطيقها القدرة الإنسانية بالإضافة إلى قصر عمر الإنسان فلا يمكن للإنسان الخروج عن السماء الدنيا إلا بإذن الله، يقول تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ (الرحمن: ٣٣).

والتحدي الإلهي أن البشر بكل ما توصلوا إليه من أجهزة وسفن فضاء وحضارة وتكنولوجيا لم يستطيعوا عبور السماء الدنيا، وقد عَبَر النبي ﷺ السبع سماوات في الإسراء والمعراج بإذن الله تعالى وقدرته، وبالنسبة للأرض فهي سبعة أراضين أيضًا، ويقدر العلماء نصف قطر الأرض بحوالي ٦٣٧٠ كيلو متر، وهي مسافة ضئيلة بالنسبة لعمق الأرض الحقيقي مما يثبت ضعف الإنسان أمام اتساع ملك الله وقدرته، والسماوات هي سبعًا متطابقة يُغلف الخارج منها الداخل ويصف الله تعالى ذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ ﴾ (الملك: ٣).

وقوله عز وجل: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ ﴾ (نوح: ١٥-١٦).

٢٨- الإعجاز في الإشارات والحقائق:

«الانكدار - الطمس – الاندثار»

لقد أشار الله تعالى في القرآن الكريم إلى مراحل تمر بها النجوم مثل الانكدار وهو عبارة عن ضعف توهج النجم، والطمس وهو أن يطمس ضوؤها فلا ينفذ منها ضوء، ووجد العلماء أن وصف النجوم بالانكدار، والطمس كما جاء في سورة التكوير

والمرسلات، هو وصف ينطبق تمامًا على مراحل تمر بها النجوم وهي أسماء على مسمى فسبحان الخبير، والإعجاز الآخر هو أن الله تعالى وصف الكواكب وهي المعتمة التي تستمد ضوءها من النجوم مثل كوكب الأرض، وصفها الله تعالى بالاندثار والانفجار وبالفعل أثبت علماء الفضاء أن الكواكب لا تمر بمرحلة الانكدار والطمس لأنها ليست مضيئة بذاتها كالنجوم ولكنها تنفجر وتندثر نتيجة لدرجة حرارة عالية وانصهارات تحدث بداخلها.

وهناك الإعجاز في إظهار الفرق بين الضياء والنور في القرآن الكريم وذلك بوصف الشمس بأنها ضياء والقمر بأنه نور، وكان المعروف بين الناس حتى عصرنا هذا بأن الضياء هو النور، حتى جاءت مرحلة ارتياد الفضاء ووجد العلماء أن هناك نجومًا مضيئة بذاتها مثل الشمس، ما يصدر منها هو الضياء، وأن هناك أجسامًا معتمة كالقمر، وهو يستمد نوره من الشمس بانعكاس الضوء على سطحه يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ (يُونُس: ٥).

فسبحان العليم الخبير، وهناك وصف البحر في سورة الطور بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ وهو إعجاز يستحق التأمل حيث إنه نظرًا لعدم وجود الأوكسجين في الصدوع الشديدة الحرارة بقاع البحر، فإنه لا يمكن للحمم البركانية المندفعة عبر صدوع قاع المحيط أن تكون مشتعلة على طول خط الصدع، ولكنها عادة ما تكون داكنة السواد شديدة الحرارة دون اشتعال مباشر.

وتصل درجة الحرارة إلى أكثر من ألف درجة مئوية، فهي سخونة عالية تنطبق تمامًا مع الوصف بلفظه المسجور وحين تنطلق هذه الانصهارات من باطن الأرض إلى ماء البحر تندفع لمسافة قد تصل ثلاثة كيلو مترات أو أكثر فإن ماء البحر لا يستطيع إخماد تلك

الانصهارات ولكنه يبردها قليلًا ولكن تظل مسجرة بدرجات حرارة عالية، كذلك يحتوي الماء على الأكسجين الذي يساعد على الاشتعال وبذلك تظل تلك المناطق مسجرة بالنيران.

ومن الإعجاز أيضًا وصف الله تعالى الجنين في بدايته بالعلقة، وبالفعل وجد العلماء أن الجنين في البداية عبارة عن قطعة لحم معلقة بالرحم كدودة العلق التي تعيش على امتصاص الدماء، والجزء الذي تعلق به قطعة اللحم الصغيرة هذه يصبح فيما بعد هو الحبل السري الذي يمد الجنين بالدماء والغذاء من الأم إليه وهذا ما ينطبق تمامًا مع الوصف القرآني: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ (الحج: ٥).

وقد وجد العلماء باستخدام الميكروسكوبات التي تكبر آلاف المرات حين نظروا في قطعة اللحم هذه التي لا تتجاوز السنتيمتر الواحد فوجدوا أنها تشبه قطعة اللبان الممضوغ حيث إن بها تجاويف تشبه تمامًا ما تفعله الأسنان مع قطعة اللبان وهو ما يتفق تمامًا مع كلمة «مضغة» وكذلك وجدوا بالنظر أيضًا في تلك الميكروسكوبات بعد تشريح هذه القطعة اللحمية الصغيرة، فوجدوا أن أجهزة الجنين ظهرت بدايات منها ولكن لم يكتمل تكوينها وهو ما يتفق مع التعبير القرآني ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾، ولقد اكتشف العلماء في جنوب شرق صحراء الربع الخالي بواسطة التصوير بجهاز رادار له القدرة على اختراق التربة لعشرة أمتار مجرى لنهرين جافين أحدهما من الغرب إلى الشرق، والآخر من الجنوب إلى الشمال مما أثار عجب رواد رحلة الفضاء، حيث إن المعروف أن صحراء الربع الخالي هي من أكثر أجزاء الأرض جفافًا وقحولة وهذا يثبت وجود أنهار كانت جارية في الماضي بتلك الأماكن، وفي رحلة أخرى من رحلات الفضاء زود القواد مكوك الفضاء بجهاز رادار آخر له قدرة اختراق أكبر، فوجدوا أن

النهرين يصبان في بحيرة قطرها يزيد على أربعين كم في جنوب شرق الربع الخالي، وصور المكوك على ضفاف البحيرة عمرانًا لا تعرف البشرية نظيرًا له في ضخامته، ولقد أجمع علماء التاريخ والآثار والأديان أن هذه قصور إرم التي يصفها الله تعالى في القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ (الفجر: ٧-٨).

وكذلك مما وجدوه بعد إزاحة الرمال قلعة مقامة على أعمدة ضخمة لا يوجد مثلها، وأكدوا في تقريرهم أن هذه الحضارة قد طمرتها وأصابتها عاصفة رملية غير عادية ويشير الله تعالى لذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾ (الذاريات: ٤١-٤٢).

وبالتأمل في هذه الآية نجد أن هناك سؤالًا يطرح نفسه لماذا لم تتحول هذه الأعمدة والمباني الشاسعة إلى الرميم كما تنص الآية الكريمة، وبالبحث في القرآن الكريم كانت الإجابة في قوله تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأحقاف: ٢٥).

أي: أن الله تعالى ترك مساكنهم لتكون فيها العبرة والآية لمن يتكبر من خلفهم.

٢٩- المادة والجسيمات الصغيرة:

المادة تتكون من ذرات صغيرة بروتونات موجبة ونيترونات متعادلة في نواة الذرة ويدور حول تلك النواة إليكترونات سالبة، وكل ذرة لها ثقل صغير جدًا وهناك جزيئات أصغر من الذرة، وكلما تقدم العلم اكتشف العلماء بواسطة الأجهزة الدقيقة ما هو أصغر واكتشفوا أيضًا ما هو أكبر مما نعرف كالمجرات والنجوم الهائلة التي تفوق حجم الأرض والشمس بملايين المرات، ولقد ذكر الله تعالى كل ذلك في كتابه، وأشار

إلى الذرة وثقلها في وقت لم يعرف الناس عنها شيئًا وأشار إلى ما هو أكبر كالمجرات والنجوم الهائلة، وأن عمله محيط بالصغير والكبير في كونه الممتد يقول تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (يونس: ٦١).

٣٠- الشمس والقمر واكتشاف شموس وأقمار أخرى:

ينظر الإنسان في السماء وبحدود بصره يرى شمسًا تسطع بالنهار، ويرى قمرًا ينير بالليل وهما من نعم الله سبحانه وتعالى، والشمس بضوئها الساطع تناسب مطالب البشر وسعيهم نهارًا، والقمر بنوره الخافت يناسب حاجة الإنسان للراحة ليلًا، ومن الإعجاز أيضًا أن العلماء في عصرنا قد اكتشفوا في السماء أكثر من شمس وأكثر من قمر وذلك بواسطة أجهزة حديثة تلتقط الصور من مسافات بعيدة ولقد أشار الله تعالى لتلك الحقيقة في قوله تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ (فصلت: ٣٧).

ونلاحظ أن لفظ خلقهن هو ضمير جمع المؤنث والذي جاء بدلًا من ضمير المثنى خلقهما مما يثبت تعدد الشموس والأقمار في الكون والكواكب الأخرى، ولقد تمكن علماء الفضاء من رصد قمرين لكوكب المريخ، وسبعة عشر قمرًا لكوكب زحل، وخمسة عشر قمرًا لكوكب أورانوس، وهناك شموس أخرى منها ما يفوق الشمس حجمًا ونورًا وحرارة، ولقد ميز الله تعالى بين ضوء الشمس ونور القمر.

فالشمس مصدر مباشر للضوء وهي جسم متوهج بذاته، ولكن القمر جسم يستمد نوره من الشمس بانعكاس أشعتها على سطحه، فتعطي نور القمر، والنبي ﷺ وصفه الله تعالى بالسراج المنير لأنه ينير من غير إحراق بخلاف السراج

الوهاج فإن فيه درجات حرارة عالية تؤدي إلى الإحراق، إن كل ألفاظ القرآن الكريم تثبت أن هناك رقيبًا يخبر بعلمه عن حقائق خلقها بقدرته ، فمثلًا نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس يكون عليه النهار ونصف الكرة البعيد يكون عليه الليل، أي أن الليل والنهار لا يسبق أحدهما الآخر(١) ويشير الله تعالى لتلك الحقيقة في قوله سبحانه: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ (يس: ٤٠).

وأثبت العلماء بواسطة الأجهزة الحديثة والتلسكوبات أن كل نجم وكل كوكب يدور في فلك معين دون أن يحيد عنه بفعل الجاذبية ويخبرنا الله تعالى عن ذلك في قوله سبحانه: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠).

وأثبت العلم الحديث أن الليل والنهار يحيطان بالكرة الأرضية وبدورانها يتكور الليل على النهار حيث إن نصف الكرة المواجه للشمس يكون عليه النهار ثم بدوران الأرض يتكور ويدور هذا النصف فيكون عليه الليل، ثم تدور الأرض فيصبح عليه النهار مرة أخرى وهكذا، وبالفعل فإن أبلغ الألفاظ للتعبير عن ذلك هو قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ (الزمر: ٥). وفيه إثبات أيضًا لدوران الأرض حول نفسها وهي حقيقة لم يتم اكتشافها إلا في تلك العصور فسبحان العليم الخبير.

٣١- أهمية السقف المحفوظ للكوكب الأرضي:

أثبت العلماء أن الغلاف الجوي يرتفع بغير عمد على علو قد يصل إلى ألف كيلو متر في الفضاء الكوني وهو سقف للأرض وتابع لها حيث تُمسكه الأرض بجاذبيتها فلا يفلت إلى الفضاء الكوني، ومن أسرار حفظ هذا السقف أن كل ما يحتويه ضروري

(١) حقيقة علمية اكتشفها العلماء في عصرنا، وأشار إليها القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام، وتحدث عنها الشيخ محمد متولي الشعراوي «الأدلة المادية على وجود الله».

لكوكب الأرض، فهو يحتوي على الأكسجين اللازم لحياة الكائنات، ولقد ثبت أن مقدار الهواء بما يحتويه من الأكسجين يقل إلى نصف قيمته تقريبًا عند الارتفاع إلى ستة كيلو مترات وكلما زاد الصعود إلى أعلى كلما قل الأكسجين.

كذلك يوجد ثاني أكسيد الكربون اللازم لنمو النباتات حيث تمتصه النباتات للحصول على الكربون ويُخرج الأكسجين، والكربون مهم في سلسلة النبات الغذائية فمنه يصنع الخشب، والسكر، والزيوت، والنشا.

كذلك يوجد في هذا السقف المحفوظ بخار الماء الذي تحركه الرياح فيسقط المطر، ويتم تشتيت أشعة الشمس عن طريق ذرات الغبار والأتربة فيكون النهار، وهذا السقف يحول دون تسرب ماء الأرض إلى الفضاء الجوي البعيد وأيضًا يسري الصوت وينتقل عن طريقه، وتعمل التيارات الهوائية على توزيع طاقة الشمس بالتساوي على الكرة الأرضية، وتعمل طبقة الأوزونوسفير على امتصاص الأشعة فوق البنفسجية الضارة، وفي طبقة الستراتوسفير تحرق الشهب وتفتت النيازك عند ارتفاع من ٤٠/ ١٣٠كم من سطح الأرض قبل وصولها للأرض.

وكذلك طبقة الأيونوسفير تحمينا من الأشعة الكونية وأشعة أكس، إن هذا السقف هو بالفعل مظلة إلهية لحمايتنا من ومضات الأشعة الكونية وجسيمات الرياح الشمسية والشهب والمذنبات، ولقد أثبت ذلك رواد الفضاء حين صعدوا إلى القمر وليس به هذا السقف المحفوظ حيث إن القمر لا يستطيع أن يحتفظ بالغلاف الجوي مثل الكوكب الأرضي، ولقد كانت الآثار هي ندبات عميقة على خوذاتهم نتيجة سقوط الأشعة الكونية على رؤوسهم مباشرة لعدم وجود أغلفة جوية تمتص تلك الأشعة الكونية التي لا يتحملها الإنسان يقول تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٢).

٣٢- إشارات قرآنية عن ارتياد الفضاء وركوب السفن:

لقد أشار القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام إلى عبور الإنسان للفضاء يقول تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ (الرحمن: ٣٣).

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴾ (الحجر: ١٤-١٥).

وبالفعل حين صعدوا الفضاء مسافة تعادل ٢٠٠كم من الأرض نحو السماء وهي طبقة النهار وجدوا الكون مظلمًا تمامًا، والشمس تبدو كقرص أزرق في صفحة السماء السوداء، وبقية النجوم الأقل حرارة تبدو حمراء ملتهبة، فقال أحد رواد الفضاء حين عبر إلى هذه المنطقة: أحسست كأنما سُكر بصري أو اعتراني شيء من السحر، حيث اختلف كل شيء عن المعتاد، وهذا بالفعل مطابق لما أشار إليه الله تعالى في الآية السابقة، كذلك يقول تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٥).

وحين يخاطب الله تعالى الأقوام السابقة قبل التقدم العلمي يقول سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (هود: ٢٠).

وحين يخاطب الله تعالى سائر الناس الذين يشملهم التقدم العلمي وعبور الفضاء والصعود إلى الكواكب المختلفة يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ (العنكبوت: ٢٢).

وأشار سبحانه وتعالى إلى سفن الفضاء وركوبها في قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ٤١ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴾ (يس: ٤١-٤٢).

والفلك المشحون إشارة إلى سفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وأما ما هو مثله فهي السفن بأنواعها بما فيها سفن الفضاء التي يركبها رواد الفضاء يقول تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (القمر: ١٨-١٩).

وبالفعل فإن رواد السفن الفضائية يعبرون طبقات مختلفة في الغلاف الجوي وكل طبقة تختلف عن الأخرى[1] فمنها ما يشتت أشعة الشمس إلى ضوء النهار، حيث إن الكون مظلم تمامًا قبل طبقات الغلاف الجوي، ومنها ما يرد عنا الأشعة الضارة ومنها ما يساعد في سقوط المطر، وغير ذلك من اكتشافات العلماء التي يجب أن يسمعها البشر فيؤمنون بالخالق القادر الذي أشار لكل ذلك في آيات القرآن الكريم، لذلك يعقب الله تعالى بعد تلك الآيات مباشرة بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾ (الانشقاق: ٢١-٢٢)، ويقول تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

(الأنعام: ٦٧)

٣٣- عالم الكائنات الغريبة:

الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، ومقدِّر كل شيء وهو الذي خلق الجن والإنس وجعل للجن القدرة على الاختفاء لشفافية مادته والقدرة على التشكل بالصور المختلفة، وقد تشكل الجن في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتشكل لأبي هريرة حين تمثل له شيطان يسرق من الطعام الذي كان في بيت زكاة المال، والجن منه من يعيش في المناطق الخالية والصحاري البعيدة، أو بعض المناطق في البحار أو في أماكن جوية كمنطقة الأشعة تحت الحمراء، والإنس عالم له طبائعه الخاصة، وكذلك الجن وكذلك عالم الملائكة.

---

(١) «إشارات علمية مطابقة للآيات القرآنية» ذكرها الدكتور/ أحمد شوقي إبراهيم عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

وغير ذلك من العوالم التي لا نعرفها ويعلمها الله تعالى الذي يحيط علمه بكل شيء في الأرض والسماء بطبقاتها، فنحن لا نعلم حتى الآن رغم التقدم العلمي سوى القليل عن السماء الدنيا، ولكن هناك سبع سماوات وسبع أراضين، وكل سماء فيها الملايين من المجرات والنجوم والكواكب، وكل أرض فيها الكثير من الأسرار والغيبيات، يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ (الطلاق: ١٢).

كذلك يشير القرآن الكريم إلى وجود عوالم كثيرة في السماوات والأرض كالملائكة والإنس والجن وغيرهم كيأجوج ومأجوج وكل ما يدب ويتحرك ولا نراه لحجبه عنا، يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى: ٢٩).

وما في السماوات ليس قاصرًا على الملائكة فقط ولكن ربما هناك كائنات أخرى بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (النحل: ٤٩).

والحرف «ما» يعني وجود كائنات غير عاقلة، ولكن هناك الحرف «من» الذي يعني وجود كائنات عاقلة[1] ربما من الجن الذين يسكنون منطقة تحت الأشعة الحمراء أو من كائنات أخرى من فصيلة الجن كالأطباق الطائرة التي تهبط وعليها أشخاص صغار القامة ولهم رائحة كبريتية يصفها من يصادفهم ثم يختفون فجأة، وهي صفات تنطبق على الجن المتشكل والذي له حضارته وعالمه الخاص الذي حجبه الله تعالى عنا

(١) مجموعة أبحاث علمية، وملخص ما أضافه الدكتور/ أحمد فؤاد باشا عن هذه الحقيقة، والباحث محمد عيسى داود، ومجموعة أبحاث أخرى عن الأطباق الطائرة ومثلث برمودا.

أو ربما هي كائنات يعلمها الله تعالى من فصائل الجن العاقل، وقد أشار الله تعالى إلى كل ذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الإسراء: ٥٥).

واللفظ «من» يعني كائنات عاقلة، ويقول تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ (الإسراء: ٤٤).

ويضيف الدكتور عاطف قاسم في هذا الموضوع أنه إذا كانت تلك الدواب لها لغة فقد أشار الله تعالى لذلك في قوله سبحانه: ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الأنبياء: ٤).

وإذا كانت تلك الكائنات فيها المؤمن الذي يسأل الله تعالى وغير المؤمن كما في عالم الجن فيقول تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (الرحمن: ٢٩).

وإذا كانت تلك العوالم الخفية يظهر منها للبشر أحيانًا بعضها فلقد أشار الله تعالى لإمكانية ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى: ٢٩).

وإذا كان الجميع سوف يقف للحساب يوم القيامة فسوف يجمعهم الله جميعًا لهذه المواقف بقدرته يقول تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ (مريم: ٩٣-٩٤).

وهذا يثبت أن كل ما يظهر في الحياة الدنيا ويتحير فيه علماء الغرب في كل زمان فقد أشار الله تعالى إليه في القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام فسبحان خالق السماوات والأرض وما بثَّ فيهما من الدواب.

٣٤- سرعة الضوء والإشارات القرآنية:

كان استنتاج العلماء في عصرنا أنه كلما زادت السرعة قل الإحساس بالزمن وهي النسبة التي أشار إليها أينشتين، وعلى سبيل المثال كلما زادت سرعة الصاروخ قل الزمن الذي يقطعه، والزمن في الفضاء الكوني له قوانين تختلف تمامًا عن الزمن التابع لحركة الأرض، فالزمن نسبي؛ لذلك فالسنة الشمسية على الأرض تُحسب بالزمن الذي تقطع فيه الأرض دورة كاملة حول الشمس في نحو ٣٦٥ يومًا شمسية، هذا هو الزمن الأرضي، وهناك زمن خاص بكل كوكب، فعطارد يقطع دورته حول الشمس في ثلاثة أشهر تقريبًا لقربه من الشمس، وسرعة دورانه حولها، ولكن بلوتو هو أبعد الكواكب عن الشمس يتم دورته في حوالي ٢٥٠ سنة.

فكلما زادت السرعة قل الزمن؛ لذلك فاليوم عند ربنا بألف سنة مما نعد نحن حسب دورة الأرض حول الشمس، ومدى سرعتها، وحدود بشرية الإنسان، والزمن قد يصل إلى سرعة الضوء أو كلمح البصر إذا كان الأمر من الله سبحانه وتعالى، وإذا كان الأمر من الله تنزلت به الملائكة في سرعة تتناسب مع طلاقة القدرة الإلهية، وإذا صعدت بأمر، صعدت به أيضًا في سرعة فائقة بأمر الله تعالى ويشير سبحانه وتعالى إلى ذلك بما جاء في القرآن الكريم: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤).

فالزمن على الأرض خاضع لقياساتنا وقدرتنا المحدودة، ولقد نظر العلماء في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة: ٥).

ولقد قاموا بالتحليل الرياضي لمعاني الآية الكريمة فحصلوا على سرعة الضوء وذلك يعد من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، حيث لم يعرف العلماء سرعة الضوء إلا بعد أبحاث طويلة معقدة في عصرنا، ولكن القرآن الكريم، يشير إلى ذلك منذ ألف وأربعمائة عام وكانت المعادلة كالآتي:

سرعة الأمر الكوني= ألف سنة مما نعد/ يوم مما نعد= ١٢ألف شهر قمري ×طول مدار القمر حول الأرض × المعامل الشهري للقمر × المعامل السنوي للقمر/ ٢٤ساعة×٦٠دقيقة × ٦٠ثانية.

وبالتعويض في المعادلة بالقيم المعروفة حصل العلماء على رقم ٢٩٩٧٩٢٠،٥كم/ ثانية وهو ما يعادل سرعة الضوء بحساباتنا، وبالتعويض في هذه المعادلة لابد من المرور بالحسابات الفلكية الآتية:

المعامل الشهري للقمر= الزمن النجمي للشهر القمري/ الزمن الاقتراني للشهر القمري =٢٧،٣٢يوم/ ٢٩،٥٣= ٠،٩٢٥٢

المعامل السنوي للقمر= ٣٠٩سنة قمرية/ ٣٠٠سنة ميلادية = ٠،٩٧٠٨٧

طول مدار القمر حول الأرض= ٢٤٠٥٢٠٨،٩٦كم.

ولاحظ العلماء زيادة تسع سنوات في حسابات السنين القمرية وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾.
(الكهف:٢٥)

وهو بالفعل ما اكتشفه علماء الفلك بالحسابات الدقيقة في عصرنا حيث وجدوا اختلافًا في عدد أيام السنة الشمسية الميلادية عن السنة القمرية وبجمع الزيادة لتلك السنين بالنسبة للثلاثمائة عام وجد العلماء فارقًا يقدر بتسع سنوات وهو ما أشار إليه القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام، وهو من الإعجاز العلمي الحسابي في القرآن الكريم.

من ذلك نجد أن الله تعالى هو القادر على كل شيء وهو الذي سبق علمه في كل العلوم؛ لأن مصدر العلم منه، وهو الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وهو القابض والباسط وهو الذي بقدرته قبض المائة عام عن عبده وجعلها كاليوم الواحد. يقول تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

وذلك يثبت قدرة الله وإعجازه حيث مرت المائة عام كاليوم الواحد دون التغير في حركة الأرض أو دورانها ولكن بأمر الله كن فيكون، ويبدو الإعجاز أكثر وضوحًا في عدم فساد الطعام، وتحول الحمار إلى العظام البالية، والشعور بالزمن يختلف أيضًا بموت الإنسان وحين يقوم مفزوعًا للحساب، يقول تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

٣٥- اكتشاف جبال السماء:

اكتشف العلماء تراكم السحب بعد مسافة ١٥كم من الأرض على هيئة كتل كالجبال كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم وعرفها بأنها جبال من برد وبالفعل فهي تصل درجة حرارتها إلى ٥٠تحت الصفر، ولم يكن في عهد النبي ﷺ منذ ألف وأربعمائة عام سفن فضاء أو أجهزة يستطيع بها أن يصعد لتلك المسافات في الفضاء ولكن الله تعالى يخبره بذلك في قوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ﴾ (النور: ٤٣).

٣٦- الماء العذب ورحمة الله:

لقد أنعم الله على الإنسان بنعمة الماء، وجعل منه كل شيء حي، وتتجلى قدرة الله تعالى في صنعه وتكوينه الذي تحتاجه كل الكائنات على وجه الأرض، ولقد وجد العلماء أن كل الماء الموجود على سطح الأرض قد نبع من الأرض نفسها وذلك بسبب البراكين القديمة التي كانت في بداية نشأة الكون؛ حيث خرج بخار الماء بكميات هائلة، وتكثف في طبقات الجو العليا الباردة وعاد إلينا مرة أخرى، ولقد خرجت مع هذه البراكين الكثير من العناصر اللازمة لحياة الكائنات كثاني أكسيد الكربون والأكاسيد النتروجينية وغيرها من الأكاسيد والأملاح من باطن التربة، ولقد كانت هذه العناصر والأبخرة تخرج بكميات كبيرة في بداية الانفجار الكوني وهذا هو سر أن أغلب البحار مالحة وهي رحمة من الله تعالى لحفظ مياه الأرض من التلف والفساد ثم باستمرار عملية البخر نتيجة لشروق الشمس في كل يوم فإن ما يتبخر من البحار المالحة يسقط علينا ماءًا عذبًا بقدرة الله تعالى، ولقد اكتشف العلماء أنه عند حدوث البرق يتفاعل الأكسجين مع النتروجين فيعطي أكسيد النتروجين وهو قريب من الملح، ولو زاد البرق عن حدود معينة فسوف يصبح ماء المطر كالملح تمامًا، يقول تعالى في ذلك: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٠).

٣٧- قدرة وحقيقة وإعجاز:

إن تكوين الجبال يؤدي إلى تكوين النتوءات في الأرض والعوج والطي ووجد العلماء أنها تتكون نتيجة لهذا العوج ونتيجة للصدوع المختلفة وهي ترتفع عن سطح الأرض وتتكون حولها التلال والهضاب والسهول المختلفة، والله تعالى حين يأتي أمره يوم القيامة ينسف تلك الجبال فلا يكون هناك عوج في الأرض، أو انخفاض، أو

ارتفاع، يقول تعالى في ذلك: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ (طه: ١٠٥-١٠٧).

٣٨- موقع الأرض والنجوم والجاذبية:

أثبت العلم الحديث أن الشمس لو اقتربت من الأرض بمسافة تزيد عما هي عليه الآن لاحترقت الكائنات على سطحها وتبخرت مياهها ولو ابتعدت مسافة تزيد عما هي عليه الآن لتجمدت الكرة الأرضية واستحالت الحياة عليها تمامًا، وهذا ما يحدث لكواكب أخرى مثل كوكب فينوس الذي تنعدم المياه به، وتصل درجة الحرارة به إلى درجات مرتفعة لا تسمح بالحياة عليه، وكذلك كوكب أورانوس الذي يتجمد سطحه وتصل نسبة البرودة عليه إلى نسب عالية لا تسمح بوجود الكائنات الحية عليه، وكذلك من الإعجاز الإلهي أيضًا ما اكتشفه العلماء من وجود النجوم الكانسة والتي تسمى بمقبرة النجوم لقوة جاذبيتها، والتي تمكن النجم الواحد من جذب وبلع آلاف النجوم يوميًا، والثقل النوعي للنجم للكانس يبلغ أربعة ملايين مرة الثقل النوعي لكتلة الشمس، ولو لم تكن الشمس في موقع يبعد كثيرًا عن هذا النجم الكانس والذي يسمى بالثقب الأسود لجذب الشمس وابتلعها، فسبحان اللطيف الخبير.

٣٩- الفرات وجبل الذهب:

إن كل ما يخبر به النبي ﷺ يتحقق كفلق الصبح حين يأتي الميعاد والإذن من الله تعالى بظهوره ليدرك الناس أن ما يقوله الرسول ﷺ هو الوحي من الله تعالى فلقد أخبرنا النبي ﷺ بقوله: «**يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا**»(١).

(١) رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية «يحُسر عن جبل من ذهب»[(١)]، وبالفعل نقلت وسائل الإعلام رصد الأقمار الصناعية لهذا الجبل واكتشف العلماء ذرات الذهب المختلطة بطمي ورمال الفرات، ويصعب في زماننا الحصول عليه حتى ينحسر ماء الفرات، وسوف يحدث قتال شديد عند ظهوره لذلك أخبر النبي ﷺ بعدم الأخذ منه عند ظهوره، إنها الآيات تتحقق وصدق رسول الله ﷺ.

٤٠- مبارك الإبل وعبور الفضاء:

أشار القرآن الكريم إلى مخترعات ووسائل ينتفع بها الإنسان في عصرنا فكل عصر يتحقق فيه ما يسمح به الله تعالى من إلهام الإنسان لمخترعات وأجهزة تناسب احتياجاته على مر العصور، فلقد أشار القرآن الكريم بإمكانية وجود السيارات والقطارات في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٨).

أي: ويخلق ما لم يكن موجودًا في زمانهم كالسيارات والقطارات وغيرها ولقد أشار النبي ﷺ بأن في آخر الزمان سيكون هناك أُناس على أبوابهم كمبارك الإبل، وذلك أبلغ وصف للسيارات، التي تقف على أبواب أصحابها في زماننا، وهي تشبه مبارك الإبل من حيث المصابيح الأمامية، وارتفاع سقفها الذي يشبه سنام الإبل، ولقد أشار القرآن الكريم إلى حقيقة عبور الفضاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ (العنكبوت: ٢٢).

---

(١) «وقفات حاسمة بين يدي أمارات الساعة الآتية» سعيد عبد العظيم - دار العقيدة للتراث.

ولقد حيرت هذه الآية العلماء وتساءلوا كيف لا يكون الإنسان معجزًا في السماء وهو يعيش على الأرض ولكنها الحقيقة التي تشير إلى صعود الإنسان إلى كواكب السماء بإذنه سبحانه وتعالى، وهناك الآيات الكثيرة التي تشير إلى ذلك.

٤١- الإعجاز في اتساع أقطار السماوات والأرض:

إن الأبحاث الحديثة أثبتت اتساع أقطار السماوات والأرض ذلك لأن الحقائق العددية تشير إلى أن أقطار الأرض تتراوح بين ١٢٧٥٦ كيلو متر بالنسبة إلى متوسط قطرها الاستوائي و١٢٧١٣ كيلو متر بالنسبة إلى متوسط قطرها القطبي؛ وذلك لأن الأرض ليست تامة الاستدارة لانبعاجها قليلًا عند خط الاستواء، وتفلطحها قليلًا عند القطبين، ويستحيل على الإنسان اختراق الأرض من أقطارها لارتفاع كل من الضغط والحرارة باستمرار في اتجاه المركز، وهذا لا تطيقه القدرة البشرية، ولا التقنيات المتقدمة التي حققها الإنسان في هذا العصر، فبرغم الأجهزة الحديثة وآلات الحفر العملاقة التي استخدمها الإنسان في عصرنا بحثًا عن النفط والغاز الطبيعي فإن هذه الأجهزة لم تستطع حتى اليوم تجاوز عمق ١٤كم من الغلاف الصخري للأرض وهذا يمثل حوالي ٠,٢٪ تقريبًا من طول نصف قطر الأرض الاستوائي وبعد هذا العمق تعجز أدوات الحفر لتزايد الضغط وارتفاع درجة الحرارة بدرجة تؤدي إلى صهر تلك الأدوات والمعدات، حيث إن المعروف أن درجة الحرارة تزداد باستمرار كلما اتجهنا نحو مركزها حتى تصل إلى ما يقرب من درجة حرارة سطح الشمس وهي ٦٠٠٠م وبذلك يعترف الإنسان بعجزه عن خرق الأرض رغم ما يمتلك من معدات القوة، وهو أيضًا لن يبلغ الجبال طولًا بالنسبة لتكوينه الجسمي يقول تعالى في ذلك: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء:٣٧).

وأما بالنسبة لأقطار السموات فإن الجزء المدرك من السماء الدنيا يتصف بالاتساع والضخامة التي لا يمكن أن تطولها قدرات كل من الإنس والجن وهذا يسبب الشعور لكل منهما بعجزه التام عن مجرد التفكير في الهروب منه أو النفاذ إلى المجهول من بعده يقول سبحانه وتعالى على لسان الجن ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ (الجن:١٢).

إن مجرَّتنا يقدر قطرها الأكبر بمائة ألف سنة ضوئية وقطرها الأصغر يقدر بعشرة آلاف سنة ضوئية والسنة الضوئية تبلغ حوالي ٩,٥ مليون مليون كم تقريبًا، ومعنى ذلك أن الإنسان لكي يتمكن من الخروج من مجرتنا عبر قطرها الأصغر يحتاج إلى وسيلة تحركه بسرعة الضوء وهذا مستحيل، بل ولابد أن يتحرك لمدة مستمرة تصل إلى عشرة آلاف سنة من السنين التي نعرفها، ولابد أن يحصل على طاقة قوية خيالية ليتمكن من الانفلات من نطاق الجاذبية بالنسبة للأجرام التي سوف يمر بها.

وهذا كله يستحيل تحققه بالنسبة للإنسان الذي لا يتجاوز عمره الخمسين أو الستين سنة، وطاقته بالنسبة لحركته في السماء لا تتعدى الثانية الضوئية وربع ثانية فقط وهي المسافة بين الأرض والقمر، وهذا ما استطاع الإنسان أن يبلغه بإذن الله تعالى بعد أن أفاض عليه من علمه في هذا المجال، يقول تعالى مشيرًا إلى تلك الحقائق والتي أثبتت عجز الإنسان عن النفاذ من أقطار السماوات والأرض إلا بسلطان من الله تعالى كما سمح لنبيه ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج يقول تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾.

(الرحمن:٣٣)

٤٢- الاكتشاف العلمي لشواظ النار والنحاس:

لقد كان التفسير القرآني للفظ الشواظ هو إجماع قدامى المفسرين أنه يعني اللهب الذي لا دخان فيه، ولكن الكشوفات الحديثة تثبت أن كلمة نحاس تعني الدخان أو فلز النحاس المعروف لنا بدرجة انصهاره العالية ١٠٨٣م ودرجة غليانه الأعلى وهي ٢٥٦٧م، ولقد اكتشف العلماء تحقيق ذلك في عصرنا بالفعل، فالثابت علميًا أن العناصر المعروفة تتخلق بداخل النجوم عن طريق الاندماج النووي، حيث يبدأ الاندماج بالعناصر الأخف كالهليوم والأيدروجين، ثم نتيجة التفاعل تتخلق نوى ذرات أثقل لعناصر أخرى، وهكذا، ويستمر ذلك حتى تصل نتيجة التفاعلات إلى الذرات الثقيلة كالحديد، فيتحول لُبُّ النجم إلى الحديد، وخلال هذه التفاعلات تنتج حرارة تصل إلى بلايين الدرجات المئوية، وعملية إنتاج الحديد بالاندماج النووي تستهلك كمية عالية من الحرارة، حتى إنها تستهلك طاقة النجم بالكامل حتى ينفجر وتتناثر العناصر التي تكونت بداخله بما فيها الحديد، الذي يملأ صفحة السماء، حتى يدخل في مجال جاذبية أجرام جديدة تحتاج إلى تلك العناصر بتقدير الله تعالى كالكوكب الأرضي، وأما العناصر ذات النوى الأثقل من ذرة الحديد كالنحاس، فهو يتكون بإضافة اللبنات الأولية للمادة إلى نوى ذرات الحديد السابحة في صفحة السماء فتتكون عناصر أخرى كثيرة منها المائة وخمسة من العناصر المعروفة لنا وهي أيضًا تنزل إلى جميع أجرام السماء بقدر معلوم والنحاس أعلى من الحديد في وزنه وعدده الذري وبذلك فهو يتكون في صفحة السماء باندماج نوى ذرات الحديد المتناثر مع اللبنات الأولية للمادة، وبذلك تصبح السماء الدنيا زاخرة بذرات العناصر الثقيلة كالنحاس.

وبذلك فإن النحاس وهو يملأ صفحة السماء وفي درجة انصهاره التي تغلي بها قطراته يعد عقابًا رادعًا لكل من يحاول من الإنس والجن أن يخترق أقطار السماوات والأرض، وفي المعارض الدولية للفضاء والطيران تعرض المركبات الفضائية وغيرها من نماذج مركبات الفضاء، ويصف الدكتور/ عبد الله الشهابي ما لاحظه أثناء زيارته لأحد المعارض، حيث شاهد قطاعًا عرضيًا في كبسولة أبوللو، وأذهله أن يرى على سطحها خطوطًا طويلة عديدة غائرة في جسم الكبسولة، ومليئة بكربونات النحاس (جنزار النحاس) وقد لفتت هذه الملاحظة نظره فذهب إلى المسئول العلمي عن تلك الصالة وسأله: هل السبيكة التي صُنعت منها الكبسولة يدخل فيها عنصر النحاس؟ فنفى المسئول ذلك نفيًا قطعيًا، فقال له: ومن أين جاء جنزار النحاس؟

فقال له: من نوى ذرات النحاس المنتشرة في صفحة السماء والتي تصطدم بجسم الكبسولة طوال حركتها صعودًا وهبوطًا في صفحة السماء، وحين تقترب من الأرض وتمر بمناطق تحتوي على الرطوبة وثاني أكسيد الكربون، فإن هذه الذرات النحاسية تتفاعل في تلك الظروف وتتحول إلى جنزار النحاس كربونات النحاس ويشير[١] القرآن الكريم لتلك الحقيقة عن تناثر نوى ذرات النحاس المنصهرة في الفضاء في قوله تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ (الرحمن: ٣٥).

٤٣- الإعجاز في التصنيف القرآني لصخور الجبال:

لقد عكف العلماء زمنًا طويلًا وبعد أبحاث مضنية، سجلها آلاف العلماء على مراحل مختلفة من السنين حتى توصلوا في العقود المتأخرة من القرن العشرين إلى أفضل

(١) ملخص ما وصفه الدكتور عبد الله الشهابي وما لاحظه أثناء زيارته لأحد المعارض وما شاهده في كبسولة أبوللو، وهي معارض دولية تعرض المركبات الفضائية وغيرها.

تصنيف للجدد، وهي الصخور النارية التي تتداخل في صخور الجبال، والتي تتكون نتيجة اندفاع الصهارة الصخرية في القشرة الأرضية عبر نطاق الضعف الأرضي فتتداخل في تكوينات الصخور الجبلية وتميزها إلى الأشكال والخصائص الكيميائية المختلفة، وكان أفضل تصنيف لتلك الصخور هو التصنيف القائم على أساس من تركيبها الكيميائي والمعدني والذي ينعكس على ألوانها ويشمل:

النوع الأول: وهي الصخور تتراوح ألوانها بين اللونين الأبيض والأحمر وتسمى الصخور الحامضية وفوق الحامضية (الرايولايت - الجرانيت).

النوع الثاني: عبارة عن صخور مختلفة الألوان تتراوح بين الأبيض والأحمر والرمادي الذي لا يصل إلى الأسود، وبذلك يكون هذا النوع وسطًا بين ألوان الصخور الحامضية وفوق الحامضية من جهة، والصخور القاعدية وفوق القاعدية من جهة أخرى مثل (الأنديذايت- ديورايت).

النوع الثالث: وهو عبارة عن الصخور القاعدية وفوق القاعدية، وهي صخور تميل ألوانها إلى الداكنة حتى السواد مثل (البازلت- الجابرو- والبريدوتايت) ويبدو الإعجاز هنا في الوصف القرآني المطابق تمامًا لهذا التصنيف الذي لم يصل إليه العلماء إلا حديثًا بعد الجهود والأبحاث المضنية وذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ (فَاطِر:٣٧).

ونجد الإعجاز في الوصف والترتيب القرآني للتصنيف السابق حيث نجد أن كلمتي «بيض وحمر» تنطبق تمامًا على النوع الأول في التقسيم وهي الصخور الحامضية وفوق الحامضية التي تتصف بتلك الألوان، وكلمات ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ تنطبق تمامًا على النوع الثاني المختلف الألوان والذي يتراوح بين الأبيض

والأحمر والرمادي، ثم نجد أن الوصف القرآني (غرابيب سود) ينطبق تمامًا على النوع الثالث من الصخور القاعدية وفوق القاعدية وهي الصخور الداكنة السوداء، إنه الوصف والتصنيف المعجز من الله تعالى والذي يثبت عالمية الرسالة الخاتمة ويشهد بصدق النبوءة للنبي الخاتم محمد ﷺ ويؤكد حقيقة لابد وأن تكون راسخة في قلب كل مؤمن أنه ﷺ كان لا ينطق عن الهوى، وإنما هو الوحي الحق من مالك الملك وخالق السموات والأرض.

٤٤- رزق الكائنات بتقدير الله تعالى:

نحمد الله تعالى أنه خلقنا مسلمين وجعل لنا الأرض مهدًا وبارك فيها وجعل لنا سبلًا فجاجًا... ولقد مرت الأرض بمراحل عديدة بأمر الله تعالى أصبحت في صورتها التي نعيش عليها مناسبة وصالحة لكل الكائنات التي خلقها تبارك وتعالى بقدرته وأمره كن فيكون، ويرى العلماء الباحثين أن الأرض ربما تكون هي مركز الكون، حيث إنهم اكتشفوا بعد الأبحاث والدراسات أن مكة المكرمة هي مركز الأرض ولقد وصفها الله تعالى بأنها أم القرى وبذلك ينطبق ما اكتشفه العلماء مع الوصف القرآني منذ ألف وأربعمائة عام، وأما بالنسبة للجزم بأن الأرض هي مركز الكون، فهذا ما لا تتحمله عقول البشر؛ وذلك لأن الجزء المدرك من السماء الدنيا فقط دون باقي المسارات يزيد قطره على العشرين بليون سنة ضوئية، وهي حقيقة تجعل الإنسان بكل إنجازاته العلمية يتضاءل تضاؤلًا شديدًا أمام أبعاد الكون المذهلة، والذي لا يمكن تحديد مركزه، والجزم به.

ولكن الإقرار بذلك يكون قياسًا على الحقيقة السابقة وكذلك استنتاجًا من حديث رسول الله ﷺ حين قال يومًا لأصحابه: «**هل تدرون ما البيت المعمور؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «**فإنه مسجد في السماء بحيال**

الكعبة لو خرَّ لخرَّ عليها،يصلي فيه كلَّ يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم». ولقد مرت الأرض بمراحل عديدة منذ بداية خلقها فلقد مر بمرحلة الرتق أي الجرم الأولى الذي بدأ منه خلق السماوات والأرض، ثم مرحلة الفتق وهي انفجار هذا الجرم، ثم مرحلة تخلق العناصر المختلفة عبر السماء الدخانية بداية من اتحاد قوى العناصر الخفيفة كالهليوم والهيدروجين، ثم انتهاءًا بالعناصر الثقيلة كالحديد.

ثم مرحلة تخلق كُلٍّ من الأرض وباقي أجرام السماء عن طريق اتحاد الدوامات الدخانية وتكثفها على ذاتها بفعل الجاذبية ثم ردمها بوابل من النيازك الحديدية والعناصر الثقيلة، ثم مرحلة دحو الأرض وتكوين غلافها المائي والغازي والصخري وتكون القارات وقيعان المحيطات والبحار وتكون سلاسل الجبال وشق الأودية، والفجاج والسبل، والتعرية وتسوية سطح الأرض، وتكوين التربة، وخزن المياه تحت السطحية، ثم مرحلة خلق الحياة في أبسط صورها بداية من الحياة النباتية، ثم الحيوانية، ثم مرور الفترات الزمنية، حيث يندثر كل ذلك بفعل الرياح والتغيرات الزمنية وتحلل الكائنات النباتية والحيوانية وتكون الثروات البترولية في باطن الأرض، وهذا يعد نوعًا من أنواع الرزق وتقدير الأقوات في الأرض حتى تصلُح لاستقبال الإنسان الذي سوف ينتفع بكل تلك الثروات يقول تعالى في ذلك: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ (فُصِّلَتْ: ١٠).

إنها أيام تختلف تمامًا عن الأيام التي نعرفها نحن على كوكبنا الأرضي، حيث إن الزمن كما أشرنا سابقًا يرتبط بالنسبية، فاليوم الأرضي يرتبط بدوران الأرض حول نفسها، فيقدر عندنا بأربع وعشرين ساعة، ولكن هو في كواكب أخرى يقدر بأكثر من ذلك، وهو عند الله تعالى يختلف تمامًا عن قياساتنا، ويقدر العلماء أقدم صخور الأرض

بنحو ٤،٦٠٠مليون سنة، وأقدم أثر للحياة الأرضية يقدر بنحو ٣،٨٠٠مليون سنة وبذلك يكون إعداد الأرض لاستقبال الحياة قد استغرق حوالي ثمانمائة مليون سنة تقريبًا حيث تم دحو الأرض.

وتكون السلاسل الجبلية، وخروج الغازات والأبخرة من باطن الأرض لإثراء الكون بالغازات اللازمة لحياة الكائنات، كثاني أكسيد الكربون اللازم لحياة النباتات، والأكسجين اللازم لبقية الكائنات، وكذلك خروج بخار الماء بنسبة كبيرة عبر المراحل الزمنية المختلفة من خلال الثورات البركانية الأرضية وتكثف هذا البخار ونزوله في صورة مياه غزيرة شقت البحار ومهدت السبل، وكذلك اندثار الكائنات الحيوانية، والنباتية المختلفة عبر الحقب الزمنية الماضية عمل على إثراء الأرض بالثروات البترولية، كذلك ساعدت درجة الحرارة العالية على حدوث التفاعلات الكيميائية المختلفة وتكون الثروات المعدنية المختلفة في باطن الأرض، بالإضافة إلى ورود نوى الذرات الثقيلة كالحديد والنحاس وغيره، من خلال النجوم والمستعمرات الأخرى في الفضاء الكوني، وكل ذلك بأمر الله تعالى لتظل الأرض صالحة للعمران حتى قيام الساعة، ولقد وجد العلماء أن أقدم أثر للحياة على اليابسة هو أثر الحياة للكائنات النباتية حيث إن النبات له القدرة على امتصاص غذائه من الأرض بنفسه عن طريق التمثيل الضوئي مستفيدًا من غازات الجو، ومياه ومعادن الأرض.

ثم بعد ذلك كانت الحياة الحيوانية، حيث يعتمد الحيوان على النبات في غذائه، ثم كان خلق الإنسان حين كانت الأرض مهدًا وسبيلًا يصلح لسعي الإنسان وانتفاعه بثروات الأرض المختلفة، لذلك فأقدم أثر للحياة على اليابسة بالنسبة للكائنات النباتية يقدر بحوالي ٤٥٠ مليون سنة، والذي بدأ بالنباتات الأرضية المختلفة والتي صارت

مدخرًا من الثروات البترولية التي ينتفع بها الإنسان حتى الآن، فسبحان الخالق الذي خلق الأرض وباركها وقدر فيها أقواتها، فما أشد عذاب الجاحدين، يقول تعالى معاتبًا المشركين المنكرين من عباده.

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾

(فُصِّلَتْ :٩-١٠)

٤٥- الإعجاز في نقاء ماء المطر وطهارته:

من خلال السير في الأرض والتفكر في آيات الله؛ في النفس وفي الآفاق يكتشف العلماء كل يوم إعجازًا جديدًا يضاف إلى الإعجاز السابق ليظل القرآن الكريم ذاخرًا بالعطاء والإعجاز في كل يوم وعلى مر الزمن وبما يناسب مستوى العقول في كل عصر، لذلك نجد أن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يتجلى في عصر النبوغ في العلوم المختلفة، وحين يغتر البعض ويحاول نشر حصاد غروره بالعلم فيظهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مطابقًا لما يكتشفه العلماء في كل مجالات العلوم ويقذف الله تعالى بالحق على الباطل فيدمغه ويتم الله نوره ولو كره الكافرون.

وحين يأتي عصر الحاسبات والكمبيوتر، وكعادة الإنسان الضعيف الذي ينسى دائمًا أصله الماء المهين، لا يلبث أن يغتر حتى يظهر الإعجاز الرياضي، والرقمي في القرآن الكريم كما أشرنا سابقًا بصورة تقف العقول أمامها عاجزة حيث يكمن في قلب اللغة العربية أسرار لا تحصى من هذا الإعجاز، وحين حاول الإنسان أن يعبر الآفاق

obeikandl.com

ليفهم الكون الشاسع كان كل ما يكتشفه رواد الفضاء مطابقًا تمامًا لما جاء في القرآن الكريم وآياته في كل الحقائق، فمثلًا وجد العلماء أن أشعة الشمس بما فيها من أشعة فوق بنفسجية، وأشعة تحت الحمراء، وغاز الأوزون، وحدوث البرق في طبقات الجو العليا، حيث إن شرارة البرق تصل إلى أكثر من ١٠٠٠ درجة مئوية، كذلك احتواء الهواء على الكثير من المركبات الكيميائية المختلفة باختلاف العناصر المنتشرة في طبقات الجو، فإن كل ذلك يقوم بتنقية بخار الماء وقتل الميكروبات التي تكمن فيه وإعدام الأحياء الدقيقة الضارة التي تحملها الرياح وتصطدم بها السحب، ونتيجة لتلك التنقية الطبيعية بإرادة الله تعالى ينزل ماء المطر نقيًا طاهرًا، نظيفًا خاليًا من الجراثيم والميكروبات والتي لم يكتشفها الإنسان إلا حديثًا، يقول تعالى في ذلك: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ (الفرقان: ٤٨).

٤٦- الإعجاز في انتفاع الناس بما يمكث في الأرض:

تحتوي صخور الأرض على الكثير من العناصر الكيميائية والتي باتحادها تتكون أصناف المعادن المختلفة والتي منها ما يتحمل عوامل التعرية، ومنها ما لا يتحملها فيجري مع السيول الجارفة، وحين تضعف سرعة التيار المائي تتناقص قدرته على حمل الفتات الصخري فيبدأ في ترسيبه في مجرى الوادي الذي يتحرك فيه السيل بالتدريج حسب كتلة ما يحمل من فتات، وبهذه الطريقة يتمايز هذا الفتات الصخري حسب حجم حبيباته فتترسب الحبيبات الثقيلة أولًا ثم الأخف منها، وتتكون نتيجة لذلك في قيعان البحار العديد من جواهر الأرض كالألماس والياقوت، والزمرد، والزبرجد، والعقيق والفيروز، وغيرها من الخامات الفلزية كالذهب، والفضة، والبلاتين، وغيرها.

وكذلك الكثير من المعادن النافعة للبشر، كالحديد، والنحاس، والرصاص، والقصدير، والزنك، والمنجنيز، والكروم، والنيكل، وغيرها، وكل ذلك يكون على هيئة تجمعات رسوبية في قيعان الأودية التي مرت بها تلك السيول، وكل ذلك يحدث بتقدير الله تعالى حيث يمتلئ الوادي بالمناطق الممعدنة التي تحتوي على المعادن التي ترسبت في هذا المكان ومناطق أخرى خالية من المعادن حيث لم يحدث بها ترسيب وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ (الرَّعْد: ١٧).

أي: بما تمر به من المناطق الممعدنة بتقدير الله تعالى ومن ذلك نجد أن كل ما ينفع الناس يمكث في الأرض، ويتضح ذلك في تحول بقايا الأشجار ورسوبيات البحار النباتية إلى الفحم، والغاز الطبيعي في باطن الأرض أيضًا، وكذلك من الرسوبيات النافعة تجد الفوسفات، والكبريت، والملح، والجبس، والبوكسايت والأنهيدرايت، وكربونات الماغنسيوم، وغيرها، وفي البحار يحمل السيل غُثاءه فوق سطح الماء على هيئة زبد يتكون من أتربة دقيقة وبقايا معادن مسحوقة، أو رقيقة، وفتات النباتات والقش الضامر، مما لا ينتفع به الناس، ويشير الله تعالى لتلك الحقيقة منذ ألف وأربعمائة عام في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ (الرَّعْد: ١٧).

٤٧- علم الفلك والسنة الشمسية والقمرية:

إن كل اكتشاف يصل إليه العلماء يكون السبق للقرآن الكريم في الإشارة إليه، فهو النور والإعجاز الدائم في كل عصر، ولقد اكتشف العلماء أن السنة الشمسية تختلف عن السنة القمرية في عدد أيامها، ولقد توصلوا إلى ذلك بعد دراسات وحسابات دقيقة فانتهوا إلى أن كل مائة سنة شمسية يقابلها مائة سنة قمرية بزيادة

ثلاث سنوات؛ لأن عدد الأيام يزيد في السنة الشمسية، وبذلك يكون كل ثلاثمائة سنة شمسية يقابلها ثلاثمائة وتسع سنة قمرية، والسبق للقرآن الكريم في الإشارة لتلك الحقيقة التي توصل إليها العلماء بعد الكثير من الإحصائيات والأبحاث الفلكية وذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾ (الكهف: ٢٥).

٤٨- جريان الشمس حقيقة وإعجاز:

حين أثبت العلماء حركة الأرض ودورانها كان ذلك من الاكتشافات الجديدة والهائلة، وكان أيضًا مطابقًا لما أشار إليه القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام، فحركة الأرض أشار إليها سبحانه في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ (النمل: ٨٨).

أي: أن الجبال تتحرك طبقًا لحركة الأرض كما تتحرك السحب تبعًا لحركة الرياح وكروية الأرض أخبرنا الله تعالى عنها في قوله تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ ﴾ (الزمر: ٥)

وكلمة «**يكور**» تفيد بأن: الليل والنهار سوف يوجدان على شيء مكور وهو الأرض، فهما سيحيطان بها، وبما أنها تدور سيكون نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس بلاده عليها النهار، والنصف البعيد بلاده عليها الليل، أي: أن الليل والنهار يوجدان في وقت واحد على الكرة الأرضية لا يسبق أحدهما الآخر ويشير الله تعالى لذلك في قوله سبحانه ﴿ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ (يس: ٤٠).

كذلك كروية الأرض يثبتها قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ (الحجر: ١٩).

ومعنى المد هنا أي: أننا كلما سرنا عليها نجدها ممدودة أمامنا لا تنتهي عند حافة، ولا يكون ذلك إلا إذا كانت الأرض كروية كالبيضة التي تدير إصبعك عليها فلا تجد حافة ينتهي السير عندها، ولكن الخط المستقيم له نهاية وحافة كالمسطرة، ولقد اكتشف

العلماء في عصرنا أيضًا أن الشمس التي تبدو للعين ثابتة أو بطيئة الحركة هي في الحقيقة تسبح وتجري في الفضاء، فلقد اكتشف العلماء أن الشمس تبعد عنا حوالي ١٥٠ مليون كم وضوؤها يصلنا بعد ثمان دقائق، وعندها تكون قد انتقلت إلى مكان آخر، فهي تجري نحو برج يسمى النسر، ولن تصل إليه إلا حين يأذن الله لها بهذا المستقر ثم يلحق بها القمر، وعندها يجمع الله الشمس والقمر وبقية الكواكب، يقول تعالى في ذلك: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾(يس:٣٨).

ويتجلى الإعجاز القرآني في اللفظ «تجري» حيث إن هذه الرؤية وهذا الجريان لا يُرى بالعين المجردة ولكن بأجهزة خاصة مما يثبت لنا أن النبي ﷺ كان لا ينطق عن الهوى ولكنه الوحي من الله العليم الخبير.

٤٩- صفة الجبال وسطح الأرض:

منذ عهد قريب كانت كل التعريفات عن الجبال هي أنها مجرد ارتفاعات ونتوءات فوق سطح الأرض، فلم تكن قد ظهرت تلك الأجهزة التي تخترق طبقات الأرض والتي بظهورها وجد العلماء أن الجبال تمتد في باطن الأرض بامتداد قد يصل أحيانًا إلى خمسة عشر ضعف ارتفاع الجبل على سطح اليابسة، ولو ضربنا مثلًا بقمة إفرست، نجد أن ارتفاعها قد يصل إلى أقل من تسعة كيلو مترات على السطح، ولكنها تمتد بعمق يصل إلى ١٣٥ كيلو متر في باطن الأرض ويشير الله تعالى إلى ذلك في قوله سبحانه ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ﴾ (النبأ:٦-٧).

أما بالنسبة لسطح الأرض فلقد وجد العلماء أن حوض البحر الميت وهي منطقة الخسف الذي حدث لقوم لوط هي أكثر اليابسة انخفاضًا على سطح البحر، وتعتبر هذه المنطقة هي أسفل بقعة في الأرض على الإطلاق، وهي التي دارت عليها المعركة

بين الفرس والروم ولقد أشار الله تعالى إلى تلك الحقيقة في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ (الروم: ٢-٣).

ومن حكمة الله تعالى أنه جعل سواحل البحار منخفضة عن سطح الأرض حتى لا تغرق المدن؛ ولذلك تقاس كل الارتفاعات بسطح البحر[١] فيقال: هذا المكان يعلو ألف متر أو مائة متر عن سطح البحر، ولقد اتخذ العالم سطح البحر مقياسًا يساوي صفر في الارتفاع في الدنيا، ويخبرنا الله تعالى عن ذلك في قوله عز وجل: ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ (الأنفال: ٤٢).

والتفسير أن المسلمين كانوا بالعدوة الدنيا أي: قريبين من المدينة والكفار بالعدوة القصوى أي: بعيدين عن مكة، وركب أبو سفيان أسفل منهم لأنه كان متخذًا ساحل البحر، فسبحان اللطيف الخبير.

٥٠- مكة المكرمة ومركز العالم:

إن الكشوفات الحديثة في علم الجيولوجيا أثبتت أن الصخور أسفل البيت الحرام هي صخور من نوع خاص يقاوم الهزات الأرضية، ولها القدرة على امتصاص تلك الهزات، وهي أيضًا غير قابلة للانفجار البركاني على مدار الزمن، ولقد أثبت أحد العلماء البارزين أن مكة المكرمة هي مركز اليابسة، ومن حولها هو العالم بأسره فهي تتوسطها مكانًا وزمانًا، ولقد استمرت الدراسات الهندسية لاكتشاف تلك الحقيقة لسنوات عديدة، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك منذ ألف وأربعمائة عام في قوله

(١) «سلسلة الإعجاز العلمي في القرآن»، «براهين الإيمان ومعجزاته» الشيخ عبد المجيد الزنداني في الحديث عن الأرض في القرآن.

تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ (الشورى: ٧)، ومن ذلك نجد أن رسالة القرآن الكريم عالمية إلى كل بلاد العالم شرقًا وغربًا.

٥١- رواد الفضاء وانشقاق القمر:

اعترفت مجموعة من رواد الفضاء في عصرنا باكتشافهم فوق سطح القمر حزامًا من الصخور المتحولة يخترق القمر من جوفه إلى سطحه ويلتحم بطول القمر وحين سألوا علماءهم الباحثين وناقشوا هذه الأبحاث، وكان نتيجة ما توصلوا إليه وأقروا به، هو أن القمر لابد أن يكون قد انشق قبل ذلك ثم عاد إلى الالتحام، وبالفعل يخبرنا الله تعالى بذلك في قوله سبحانه: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾ (القمر: ١).

حيث أشار إليه النبي ﷺ بإصبعه فانشق فلقتين إحداهما على يمين الجبل والأخرى على يساره لتكون آية للمشركين في مكة، وحتى الآن هناك دول تؤرخ لنفسها بتاريخ انشقاق القمر، ويعترف أحد باحثي الغرب وهو بريطاني الأصل قائلًا: لقد كان هذا الاكتشاف هو سبب إسلامي حيث كنت أبحث في الأديان، فأهداني أحد المسلمين ترجمة لمعاني القرآن الكريم فوجدت فيها إشارة لانشقاق القمر فلم أصدق هذه الآية إلا بعد اعتراف رواد الفضاء في أحد البرامج المرئية، والتي كان ضيوفها ثلاثة من رواد الفضاء يتحدثون عن اكتشافاتهم فوق سطح القمر، ولقد أصبح هذا الباحث الآن رئيسًا للحزب الإسلامي البريطاني حيث كانت هذه الآية هي مدخله إلى الإسلام.

٥٢- ظلمات البحر واكتشاف البرزخ:

يعترف أحد علماء البحار وهو العالم دور جاروا، بأنهم كلما غاصوا في أعماق البحر بعيدًا عن السطح كلما اشتدت ظلمات البحر، حيث تضعف أشعة الشمس التي تخترق سطح البحر وأعماقه كلما غاصوا لأسفل، ولقد استخدموا أجهزة لقياس شدة

الظلمة في البحار فوجدوا أن ألوان الطيف تختفي لونًا بعد الآخر كلما زاد العمق، فكل لون يختفي عند درجة من الظلمة تزيد كلما غاصوا لأسفل حتى يكاد الغواص لا يرى يده من شدة الظلمة، أي أن البحر ظلمات مختلفة، ولقد وجد العلماء موجًا متلاطمًا يشبه الموج الموجود على سطح البحر عند عمق مائتي متر.

أي: أن بالبحر موجين وليس موجًا واحدًا نراه جميعًا على السطح ويضيف العالم أنهم حين غاصوا بعد عمق مائتي متر، حيث هذه الأمواج، وجدوا بحرًا معتمًا تمامًا لا يصل إليه أي أثر من أشعة الشمس فهي ظلمة شديدة حالكة تختفي عندها وتنعدم جميع ألوان الطيف، وملخص كلام العالم هو أن أعماق البحار عبارة عن بحر مظلم تمامًا، ثم يعلو ذلك موجًا متلاطمًا عند عمق مائتي متر ثم ظلمات مختلفة ومتدرجة حتى الوصول إلى الموج على سطح البحر الذي يعلوه السحاب، ولقد أشاروا لهذا العالم في أحد مؤتمرات الإعجاز القرآني بعد اكتشافه هذا بأن القرآن الكريم أشار إلينا بتلك الحقيقة وأعلمها للنبي ﷺ منذ ألف وأربعمائة عام حيث لم يكن هناك مثل هذه الغواصات وذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ (النور: ٤٠).

ولقد قال العالم متعجبًا هذه حقيقة لا يمكن أن يعرفها إلا من يغوص بالغواصات ولا يمكن أن يكون ذلك إلا الوحي من السماء[(١)]، ذلك يثبت لي أن محمدًا رسول الله ولقد تم التقاط الصور للبحار بخاصية تُعرف بالخاصية الحرارية، وبسبب

---

(١) مناظرة علمية بعنوان «شهادات علماء الغرب»، للشيخ عبد المجيد الزنداني ومنهم كيث المور، ومرشال جنسون، ودورجاروا، وجولي سامسونج، وغيرهم.

اختلاف درجات الحرارة في البحار لاختلاف درجات الملوحة فيها وجد العلماء أن كل بحر يظهر بلون مختلف عن الآخر فبعضها أزرق قاتم، وبعضها أسود، وتتفاوت الألوان وتتدرج بين ذلك، ولقد وجدوا بين كل بحر وآخر لونًا يختلف تمامًا عن البحرين كأنه يفصل بين كل بحرين، يختلفان في صفاتهما ويميز حدود كل بحر عن الآخر، فقام العلماء بدراسة هذه المنطقة بين كل بحرين.

فوجدوها مساحة من المياه الفاصلة كأنه سور من المياه يختلف تمامًا عن البحرين في درجة الملوحة والكثافة وكأنه محطة لتحلية المياه من صفة إلى أخرى، فإذا كان أحد البحرين ملوحته شديدة عن الآخر فإن مياهه حين تعبر هذا الفاصل يمتص جزء من ملوحته لتصل المياه إلى البحر الآخر بنفس درجته من الملوحة والكثافة، ولقد اعترف بذلك البروفيسور«شرايدر» من أكبر علماء البحار بألمانيا الغربية فترجموا له قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ (الرحمن:١٩-٢٠). قال: لا يمكن أن يكون ذلك من كلام البشر، إنه الوحي من السماء.

٥٣- من روائع الإعجاز في عالم البحار:

لقد كان اكتشاف الظلام الكوني بعد مسافة ٢٠٠كم من الأرض اكتشافًا هائلًا وأضاف للمسلم حقيقة أشار إليها القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام، حيث تبدو الشمس بعد تلك المسافة في قلب الفضاء الكوني كقرص أزرق في صفحة سوداء وكذلك النجوم الأخرى تبدو بألوان تختلف تمامًا عن شكلها المعتاد والذي نراه دائمًا حيث إن الغلاف الغازي بما يحتوي من ذرات الغبار وبخار الماء يساعد على تحليل أطياف ضوء الشمس إلى هذا الضوء الأبيض الجميل، ومن يصعد بعد مسافة الـ٢٠٠كم يشعر أنه سُكر بصره.

حيث يتغير كل شيء حوله وتتغير مظاهر الأشياء والنجوم من حوله وكأنما اعتراه شيء من السحر يغير في عينيه كل شيء، ويشير الله تعالى إلى ذلك حين طلب المشركون الآيات من النبي ﷺ وأرادوا أن يطّلعوا على غيب الله في السموات ليؤمنوا برسالته يقول تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ (الحجر: ١٤-١٥).

وهذا ينطبق تمامًا مع ما قاله أحد رواد الفضاء حين صعد إلى هذا الظلام الكوني وشاهد تلك الحقائق حيث ردد قائلًا بما يشبه نص الآية القرآنية.

- I have a most lost my eye sight or something magic has come over me.

وهي بمعنى: أنا فقدت بصري تقريبًا أو اعتراني شيء من السحر، وسكر البصر في اللغة معناه فقده لشدة الظلام وهذه الظلمات لا تقتصر على الفضاء الكوني فقط بل تمتد إلى أعماق البحار حيث يصبح البحر مظلمًا تمامًا يقول تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ (النور: ٤٠).

ويشير العلماء إلى أن متوسط أعماق البحار هو ٤كم وقد يمتد إلى ١١كم، وأن ما يصل إلى سطح الأرض من أشعة الشمس هي نسبة تصل إلى ٥١٪ ترتد نسبة كبيرة منها عن طريق أمواج البحر السطحية، ثم يتحرك جزء صغير داخل مياه البحر أو المحيط وعندما يتحرك هذا الضوء داخل مياه البحر يتحلل إلى أطيافه السبعة وتبدأ الأمواج في امتصاص تلك الألوان، فأول ما يُمتص هو اللون الأحمر.

فإذا أصيب غواص وسال دمه على عمق ١٠م لا يرى هذا الدم؛ لأن الطيف الأحمر قد تم امتصاصه بالكامل، وتظل هذه الأطياف تُمتص بالتدريج، وكل لون يتم امتصاصه يعطي ظلمة معينة وما بعدها يكون أشد، وهكذا حتى يبقى الطيف الأزرق

وهو أكثرها استمرارية ولذلك يبدو البحر باللون الأزرق، كما تبدو السماء باللون الأزرق، وتظل تتدرج الظلمات بامتصاص ألوان الطيف السبعة حتى مسافة ٢٠٠م فقط من عمق البحر، ويسميها العلماء طبقة لا يرى الإنسان يده حيث لا ينفذ شيء من ضوء الشمس بعد تلك المسافات العميقة، يقول تعالى مشيرًا إلى تلك الظلمات: ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍۚ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ (النور: ٤٠).

ولقد اكتشف العلماء بعد مسافة ال٢٠٠م موجًا آخر متلاطم يفوق كل الأمواج السطحية التي نراها في قوة اندفاعه وفي طول الموجة وارتفاعها، ولقد أشار الله تعالى كما أشرنا سابقًا إلى أن البحر يحتوي موجين، وهو الموج على سطح البحار، وهذا الموج المعروف الذي اكتشفه العلماء، بالغواصات التي لم تكن في عهد الرسول ﷺ بعد عمق مائتي متر يقول تعالى ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ﴾ (النور: ٤٠).

وبالفعل فإن صفة البحر بعد مسافة ٢٠٠م عمق، وحتى الوصول إلى ١٠٠٠م فبعدها، عبارة عن بحر لجي مظلم تمامًا «يغشاه موج» وهو الموج الموجود بعد تلك المسافة في الأعماق «من فوقه موج» وهو الموج على سطح البحر، ثم بعد ذلك يكون السحاب، ومن العجيب في عالم البحار الذي تتجلى فيه قدرة الله تعالى حيث إنه بإمكانية التصوير من الفضاء لمياه البحار عن طريق الأقمار الصناعية ومراكب الفضاء وجد العلماء أن الماء في البحر الواحد عبارة عن بقع متجاورة تختلف عن بعضها البعض في الشكل، حيث تختلف درجات الحرارة في البحار، وبالتالي تختلف درجات الملوحة.

حيث إنه كلما زادت الملوحة زادت برودة المياه، فالبحار ليست موحَّدة التكوين، وحين تم التقاط الصور بخاصية تُعرف باسم الخاصية الحرارية، ظهرت كل منطقة

بلون مختلف عن الآخر حسب درجة حرارة البحر تبعًا لدرجة ملوحته، وتم تصوير فاصل يفصل كل منطقة عن الأخرى ويفصل كل بحر عن الآخر.

وحين قام العلماء بدراسة تلك الفواصل وجدوا أنها عبارة عن مساحة من المياه الفاصلة وكأنه سور من المياه يختلف تمامًا عن البحرين في درجة الملوحة، والكثافة، والأحياء المائية، وتفسير ذلك أن الماء به كَمٌّ من الأملاح تتأين، والتأين هو تفكك الجزيئات إلى مكوناتها وهي إما شحنات موجبة أو سالبة، هذه الشحنات تقف على حواف الماء للتنافر مع شحنات متشابهة من الماء المجاور وتجعل من هذا الحاجز المائي مانعًا حقيقيًا يحول دون اختلاط الماء أو امتزاجه، ولقد وجد العلماء أن مياه البحار تتمايز رأسيًا وأفقيًا، أي أن هناك فواصل تمتد في كل كيان البحر وأعماقه حتى تختلف البيئات المائية، وبذلك تتنوع الكائنات بداخل البحر، وحيث إنه بتلك الفواصل لا يستطيع الكائن الحي أن ينتقل إلى منطقة أخرى تختلف في ملوحتها وصفاتها ولو انتقل فإنه يموت، ولكن بفطرته لا ينتقل لأن هناك حاجزًا وحجرًا يمنعه من ذلك والحجر هو الحجز والمنع، يقول تعالى في ذلك: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (الفرقان: ٥٣).

ومن اكتشافات العلماء أيضًا من عالم البحار، أن نسبة الماء على سطح الكرة الأرضية هو حوالي ٧١٪ من مساحة الكرة الأرضية، ومساحة اليابس حوالي ٢٩٪ والغريب أنه بمقارنة تلك النسبة، بنسبة المواد الصلبة إلى الماء في جسم الإنسان فهي نفس النسبة كذلك فإن تبخر مياه البحار يعمل على تنقيته مما علق به من مخلفات الكائنات والتلوثات التي يحدثها البشر، فدورة الماء تساعد على تنقية مياه البحار، وإلا لفسد الماء الموجود على سطح الكرة الأرضية في البحار، لولا عملية التجديد المستمرة

بأمر الله تعالى، ومن عظيم صنع الله أن الماء هو السائل الوحيد الذي تقل كثافته عندما يتجمد فيطفو الثلج فوق البحار ويحتفظ الماء بخواصه أسفل تلك الطبقة، وأي مادة غير الماء في حالة سيولتها تكون أقل كثافة من حالتها عند التجمد حيث تغوص في القاع عند تجمدها، ولكن لا يحدث ذلك بالنسبة للماء.

وهي من آثار رحمة الله حفاظًا على الكائنات الحية في أعماق البحار، بل وإن ذرات الثلج الباردة هذه تتجمع وتندفع لأعلى وتترك الماء خلفها دافئًا لا يقضي على الحياة أسفلها، كذلك ومن تسخير الله تعالى للبحر أن السفن تستطيع أن تخترق الجليد وتسير،والعجيب أن المراكب والسفن التي تسير بالموتورات العملاقة وبالفحم والبترول والمراكب الشراعية تتوقف في البحار لو سكنت الريح كما أشرنا سابقًا؛ لأن كل جهاز احتراق إذا انعدم الريح يتوقف تمامًا لأن الأكسجين الذي يوجد في الهواء والرياح له دورة في عمليات الاحتراق الداخلي، فهو وسيلة الاحتراق الموجودة في الجو يقول تعالى مشيرًا إلى ذلك: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (الشورى: ٣٣).

ومن الحقائق التي أشار إليها العلماء في عصرنا عن البحار أن البحار التي من حولنا كان ماؤها عذبًا وازدادت ملوحتها عن طريق دورة المياه، حيث ينزل ماء المطر عذبًا ثم يسقط على اليابسة فيذيب أملاح اليابسة لتذهب إلى البحار والمحيطات وتكرار هذه الدورة بمرور السنين منذ بداية الكون زاد في ملوحتها حتى وصلت لتلك الدرجة المناسبة لحياة الكائنات يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ (الفرقان: ٤٨).

وبرحمة الله تعالى يتبخر الماء نقيًا من الأملاح حتى يسقط على الأرض نقيًا منها ومن نعم الله على الإنسان أن ثاني أكسيد الكربون إذا زادت نسبته على سطح الأرض عن النسبة المفروضة تمتصه مياه البحار ليظل هناك التعادل باستمرار، ولكن لو زادت عملية الإفساد من الإنسان حيث مصانع حرق القمامة وأدخنة المصانع المختلفة، وعوادم السيارات التي تملأ مساحات كبيرة من الأرض التي نعيش عليها، والعادات السيئة من إلقاء المخلفات البترولية والآدمية في البحار، فبذلك يتم تلويث البحار وتلويث الغلاف الغازي للأرض، وتكون الأمطار الحمضية التي تؤثر على النباتات وبقية الكائنات على سطح الأرض يقول تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم: ٤١).

وبالفعل يجد الإنسان الآن أن الرجوع إلى الطبيعة التي فطر الله عليها الكون هي الأصلح دائمًا لصحته ولبقاء الكائنات التي سخرها الله تعالى للإنسان لذلك نجد أن هناك محاولات للرجوع إلى طبيعة الأشياء بالصورة التي فطر الله عليها الكون بما يعود بالنفع دائمًا على كافة الكائنات الحية.

٥٤- الشمس ومصدر الطاقة:

أثبت العلم في عصرنا أن المادة والطاقة شيء واحد لذلك فإن تفجير قنبلة نووية يعني تحويل المادة فيها إلى طاقة، وبذلك تكون الطاقة والمادة شكلين لأمر واحد، والمعروف أن مصدر الطاقة بالنسبة لنا على الأرض هو الشمس، وفي كل ثانية تفقد الشمس من كتلتها على هيئة طاقة ما يعادل ٤٠٦ مليون طن في كل ثانية تنتشر في الكون وجزء من هذه الطاقة يصل إلى الأرض وفي طبقات الغلاف الغازي يتشتت حوالي ٤٩٪ من هذه الطاقة.

ويصل إلى الأرض حوالي ٥١٪ منها فتمتص الصخور جزءًا من تلك الطاقة، وعند غروب الشمس تعمل الصخور على إخراج هذه الطاقة لتدفئة الغلاف الغازي والأرض، ولولا هذه الخاصية لتجمدنا وتجمدت الحياة من حولنا بمجرد غياب الشمس، والجزء الآخر من هذه الطاقة يمتصها النبات، ولقد زود الله تعالى النبات بالقدرة على تحويل طاقة الشمس إلى روابط كيميائية، فالنبات يمتص غذاءه من أملاح الأرض، ويأخذ ثاني أكسيد الكربون وهو يحتوي على المادة الخضراء الكلوروفيل، ويقوم في وجود طاقة الشمس بعملية التمثيل الضوئي، وهي تحويل هذه الطاقة إلى طاقة كيميائية يكون بها سكريات ونشويات وبروتينات ودهنيات، ويتم اختزان طاقة الشمس في داخل تلك المركبات الكيميائية، وليس هذا لغير النبات.

ونحن نرى لذلك أن أغلب الزيوت تُستخرج من النباتات، كذلك نجد أن الأشجار الخضراء في نموها تكون هذا الجزع الخشبي الذي يُعتبر مصدرًا للوقود، وكذلك فإن الزيوت هي مصدر للطاقة، وكذلك فإن الشجر الأخضر إذا جف يتحول إلى خشب، أو قش أو تبن، وكل هذه مصادر للوقود والتي كان مصدرها الأول اختزان طاقة الشمس في صورة روابط كيميائية كون بها هذا الخشب وتلك الزيوت ومختلف الثمار التي هي مصدر الطاقة للإنسان، والخشب إذا جف وأُحرق بمعزل عن الهواء يتحول إلى فحم نباتي، وإذا دُفن تلقائيًا يتحول إلى فحم حجري، والفحم الحجري إذا زاد عليه الضغط والحرارة يتحول إلى غاز طبيعي، والنبات وهو أخضر إذا أكله الحيوان يفرز مواد فيها مصدر للطاقة، ونلاحظ هذا في الريف حيث يقومون بتجفيف هذا الروث الذي يُخرجه الحيوان ليكون مصدرًا للوقود، وإذا دُفن الحيوان الذي تغذى على هذا الشجر الأخضر بمعزل عن الهواء يتحول إلى بترول، وإذا زادت

obeikandl.com

درجة الحرارة يتحول إلى غاز طبيعي، أي أن الثروات البترولية في العالم أصلها كائنات حية مدفونة عبر آلاف السنين، وبذلك نجد أن كل مصادر النار أو كل مصادر الطاقة الناتجة وننتفع بها مصدرها على سطح الأرض هي الشمس، والذي يستطيع أن يحبس هذه الطاقة ويقدمها للإنسان هو الشجر الأخضر، والقرآن الكريم يشير لنا عن تلك الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ (يس: ٨٠).

ومما يثبت أيضًا أن الشجر الأخضر مصدرًا للطاقة أنه قديمًا كان ينبت لدى العرب في الصحراء شجرتان وهما المرخ والعفار، وكانوا إذا قاموا بتدليك فرعين من هاتين الشجرتين تنطلق شرارة كانوا يوقدون منها، ولقد لاحظ العلماء أن الصخور تحتفظ بجزء من طاقة الشمس، ومن خلال دراساتهم وجدوا أن درجة الحرارة تزداد درجة مئوية كل عمق ٣٠م وفي باطن الأرض حتى تصل إلى ٦٠٠٠ درجة مئوية في لُبِّ الأرض وهي نفس درجة حرارة الشمس، وهذا يثبت أن الأرض كانت في يوم من الأيام جزءًا من الشمس، مما يدعم نظرية الأصل الواحد للكون.

ولقد وجد العلماء أن الماء الذي يسقط في المناطق الغزيرة الأمطار يتسرب عبر مسام الصخور ويتخللها حتى يصل إلى مناطق حرارتها مرتفعة، فيسخن هذا الماء حتى يخرج منه البخار على هيئة نافورات بخارية شديدة الحرارة، ويحدث ذلك في بعض المناطق مثل ماليزيا، واليابان، وإندونيسيا، ولقد فكر العلماء في الاستفادة من هذا البخار الناتج من تلك الحرارة الشديدة عن طريق التكثيف إلى ماء عذب يُستخدم في الشرب، وفي الصناعة، والزراعة وغير ذلك، وبخاصة في المناطق الصحراوية، وذلك عن طريق حفر آبار يتصاعد فيها البخار ويمر في مواسير ملتوية، حيث يخرج البخار في

درجة حرارة حوالي ٤٠٠م وفي حالة من الضغط تصل إلى ٤٠ مرة ضعف الضغط الجوي، ثم يدخل على توربينات يتم بها توليد الكهرباء، وحين يُكثف هذا البخار يستخدم كماء عذب، فسبحان الذي قدر فهدى إلى ما ينفع الإنسان في كل زمان.

٥٥- شهادة العلماء الباحثين:

إن كل ما يكتشفه العلماء الباحثون في جميع المجالات يشهد بالوحدانية لله تعالى، وهم يعترفون بذلك كلما اكتشفوا من خلال بحثهم وتأملاتهم آية جديدة من آيات الله تعالى.

يقول (بيلفن) أحد علماء الغرب: الكون كله بنجومه التي لا حصر لها تندفع في جميع الاتجاهات كأنها شظايا قنبلة متفجرة والذي يبهر، هو رؤية هذا الكائن البشري الذي يعيش على شظية من شظايا نجم صغير في زاوية صغيرة من زوايا مجرة، لا تختلف شيئًا عن الملايين، من أمثالها من يجرؤ فيتحدى ثم يجرؤ فيحاول أن يعرف الكون.

ويقول سيكنا: لا يستطيع المرء أن يرفع بصره نحو السماوات العُلى إلا ويغضه إجلالًا ووقارًا، إذ يرى ملايين من النجوم الزاهرة الساطعة، ويراقب سيرها في أفلاكها وتنقلها في أبراجها وكل نجم، وكل كوكب، وكل سديم، وكل سيار، إنما هو دنيا قائمة بذاتها أكبر من الأرض وما عليها وما حولها، ولقد نظر هؤلاء العلماء في السماوات بواسطة أجهزة مكبرة تمكنهم من رؤية هذه النجوم على حقيقتها، وهم إذا نظروا إلى تلك النجوم مرة، فهم لا يملكون في الثانية إلا الوقوف إجلالًا ووقارًا وإحساسًا بالضعف أمام قدرة الله والنظر في ملكوته...

يقول تعالى في ذلك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ٣-٤).

ولقد وجد العلماء أن الجزء المدرك من الكون تحيط به درجة حرارة ثابتة مما يشير أن الكون نشأ نتيجة انفجار جرم عالي الكثافة، وفي ذلك يقول أحد علماء الفلك والذي يُرشح أن يكون في مستوى أينشتين لنبوغه في الكثير من الاكتشافات، أن من طبيعة الانفجار تناثر المادة بلا مقاييس ولكن انفجار يؤدي إلى كون به مدارات ثابتة وعلاقات ثابتة، وأجرام مختلفة تدور في أفلاكها بلا اختلال لا يمكن أن يكون إلا بتدبير متقن وإله خبير، وكما أشرنا من قبل إلى اكتشاف العلماء أن مياه البحار مختلفة التكوين، فهناك الماء العذب، والماء المالح، والمتوسط الملوحة، والوسط بين الملح والعذب.

وغير ذلك من الدرجات المتفاوتة في خصائص البحار، والعجيب أن هذه المياه تحتفظ بصفاتها المختلفة رغم اختلاط أجزاء البحار ببعضها، ويتعجب العالم الفرنسي وهو أحد علماء البحار من تلك الحقيقة، وهي أن الماء يعتبر أعظم مذيب، ومع ذلك لا تختلط المياه العذبة بالمالحة أو المالحة بالأقل ملوحة، ولقد ازداد تعجبه حين علم أنه البرزخ الذي أشار إليه الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ (الرحمن: ١٩-٢٠).

وذلك حين علم أن تلك الإشارة أخبرنا بها الله تعالى منذ ألف وأربعمائة عام من قبل تجاربهم وأبحاثهم، ويشير العالم «يوشيدي كوزاي» أنهم صوروا نجومًا في السماء تتخلق من الدخان الكوني، وقد بدى النجم كتلة من الدخان في وسطها جزء مضيء

وله حافة حمراء دليل على ارتفاع درجة الحرارة، بعكس الضباب الذي يتصف بأنه بارد، وقد كانوا يعتقدون منذ سنوات أن أصل السماء هو الضباب وليس الدخان ولقد تعجب العالم حين أخبره العلماء المسلمون أن الله تعالى أشار إلى ذلك بوحيه إلى نبيه ﷺ في قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (فصلت: ١١).

قال: إن العلم لم يصل إلى هذه الحقيقة إلا منذ فترة بسيطة وذلك بواسطة أجهزة وتلسكوبات فلكية تكبر آلاف المرات عن العين المجردة، وبعد الصعود إلى الأفق البعيد بسفن الفضاء، إنَّ تعجب هؤلاء العلماء يأتي من خلال معرفتهم بأن تلك الحقائق قيلت منذ ألف وأربعمائة عام، حيث لم يكن هناك مثل هذه الأجهزة الحديثة، مما يثبت لهم وبلا أدنى شك أن ما جاء به النبي ﷺ هو الوحي من السماء.

٥٦- وصف انشقاق السماء بالوردة:

لقد أخبرنا الله تعالى بأن السماء حين تنشق يوم القيامة سوف تشبه الوردة في مظهرها وذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ (الرحمن: ٣٧).

ولفظ وردة يفيد أنها سوف تشبه الوردة في مظهرها، واللفظ التشبيهي كالدهان يفيد أنها تكون محمرة كالأديم الأحمر، ويكون ذلك حين يطوي الله تعالى السماء بما تحتويه من النجوم والكواكب فتتجمع كلها في جرم واحد ثم انشقاقها، حيث تُبدل الأرض غير الأرض والسماوات ليكون العرض على الله تعالى يوم الحساب، ولقد وجد العلماء أن هذا الوصف ينطبق على ما يحدث عند انفجار أي جرم في السماء، حيث ينفجر وتخرج منه ألسنة من اللهب فيصير كالوردة التي تتفتح تمامًا.

حيث يتحول قلبه وأطرافه إلى اللون الأحمر، وتكون ألسنة النار المنبعثة شكلًا يشبه تمامًا الوردة في مظهرها ولونها، فسبحان الله العليم الخبير، ولقد عرض الدكتور زغلول النجار، وهو من أبرز علماء الجيولوجيا وعلوم الأرض في أحد البرامج المرئية صورة لجرم سماوي في حالة الانفجار، فكانت الصورة مطابقة تمامًا لشكل الوردة من حيث تعرجات أطرافها المتمثلة في ألسنة اللهب، واحمرار لونها لارتفاع درجة الحرارة.

٥٧- تباعد النجوم والأصل الواحد للكون:

إن علماء الفلك توصلوا إلى حقائق كونية كثيرة بفضل الله وتوفيقه ليرى البشر آيات الله في الآفاق كما وعد الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (فُصِّلَتْ :٥٣).

ولقد استنتج العلماء أن الكون الذي نعيش فيه نتيجة انفجار نجم عالي الكثافة، والدليل على ذلك أن النجوم تتباعد عن بعضها بسرعات هائلة، فالإنسان لا يمكن أن يرى النجم على الإطلاق، ولكن الذي نراه هو موقع النجم وآثار الضوء،فالإنسان لا يمكن أن يرى النجم بذاته بل يرى موقعه في السماء وآثار ضوئه وإلا فقد الإنسان بصره، لذلك أقسم الله تعالى بمواقع النجوم ولم يقسم بالنجوم ذاتها وذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (الْوَاقِعَةِ :٧٥-٧٦).

وبالنسبة لسرعة النجوم التي تتباعد بسرعة قد تصل إلى ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية فإن هذا التباعد والاتساع يصفه الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذَّارِيَاتِ :٤٧).

ويعلل العلماء هذا التباعد بأنه تغلب القوة الدافعة إلى الخارج على قوى الجاذبية بين النجوم وذلك نتيجة للانفجار الهائل الذي بدأ به الجرم الابتدائي في بداية الكون،

والذي يثبت أن أصل الكون واحد، حيث إن كل هذه النجوم والكواكب التي تسبح في السماء نشأت من انفجار هذا الجرم عالي الكثافة، والدليل على ذلك أنهم أخذوا عينات من تربة القمر فوجدوها من نفس عناصر تربة الأرض وكذلك وجدوا بقية الأفلاك كلها من عناصر واحدة، كذلك تشابه النباتات على سواحل البحار يثبت أن التربة واحدة حيث كان الكون كتلة واحدة قبل الانفجار ويشير الله تعالى لذلك في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ ﴾ (الأنبياء:٣٠).

ويضيف علماء الجيولوجيا نظرية يقولون فيها إن الكون لا يمكن أن يستمر للنهاية بهذا الاتساع فقوة الدفع الناتجة عن الانفتاق الأول لابد وأن تقل لأن الجاذبية بين النجوم تبطئ من هذا الاندفاع، وحين تضعف القوة الدافعة للخارج، وتتغلب الجاذبية وهي اللامة للداخل يحدث التلاقي، وتتلاقى النجوم والمجرات والكواكب مرة أخرى في جرم واحد وهو الذي انفجر في بداية الخلق وكأنها إعادة للخلق والله تعالى يؤيد ذلك في قوله سبحانه: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ ﴾ (الأنبياء:١٠٤).

ويضيف العلماء أن هذا الكوكب سوف يتكدس على ذاته بدرجة كبيرة لتجمع كل النجوم والكواكب فيه، وسوف تعلو كثافته وينفجر مرة أخرى وتنشأ منه كما حدث للجرم الأول أرض أخرى ،وسماوات جديدة، وتلك النظرية يؤكدها قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ (إبراهيم:٤٨).

إنه إبداع القدرة وإلهام الخالق لبني البشر ليروا آيات الله فيعرفوا أن دين الإسلام هو الدين الحق، وهو طريق السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة.

٥٨- خلق ما لا نعلم ومحو آية الليل:

أخبرنا الله تعالى منذ ألف وأربعمائة عام أنه سيخلق لنا السيارات، والقطارات والطائرات، وغير ذلك ونجد هذا في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٨).

والآية تعني خلق ما لم يعلم الإنسان في العصور السابقة من هذه المواصلات التي لا يعرفها، كذلك كل ما يراه الإنسان من وسائل مواصلات جديدة لم تكن في العصر الذي قبله... إن كل ما يخلقه الله تعالى يكون لحكمة ولخدمة البشرية، ومن حكمة الله تعالى تلك المسافة المناسبة بين القمر والأرض، فلو اقترب القمر من الأرض أكثر من ذلك لأغرق المد سطح اليابسة كلها، ولغرقت القرى والمدن، حيث إن حركة المد هي الناتجة من جذب القمر للأرض لوجود قوى الجاذبية بينهما، وجذب القمر للماء أكبر من جذبه لليابسة كلها، وينتج لذلك حركة المياه المعتادة حيث يرتفع سطح المياه في عملية تسمى المد وتنخفض في عملية تسمى الجذر، ومن حكمة الله تعالى أنه زود الأرض بحزامين يحيطان بها من كل جهة يرقان عند القطبين، والحكمة من ذلك أنهما يردان عنا الأشعة الكونية المهلكة، هذه الأشعة حين ترتطم بالغلاف الغازي للأرض تجعله يشتعل ويضيء لذلك فهذه الأشعة تنير عند القطبين لضعف هذين الحزامين في تلك المنطقة ورقتهما، ولو لم يوجد هذان الحزامان لظل الليل مضيئًا باستمرار بسبب تفاعل تلك الأشعة مع الغلاف الغازي للأرض، لذلك فالمناطق القريبة من القطبين يرى الناس فيها في منتصف الليل إضاءة تفوق إضاءة الفجر الساطع.

وسميت هذه المشاهدة بظاهرة الفجر القطبي، ويرى العلماء أن هذين الحزامين لم يكونا موجودين عند بدء الخلق، ولكنهما تكونا على مراحل طويلة بفضل الله تعالى رحمة

بالخلق عندما خلق الإنسان حماية له وللحياة على سطح الأرض من خطر الأشعة الضارة[١]، ولقد كان ليل الأرض كله يضيء بظاهرة الفجر القطبي قبل تكوين حزامي الإشعاع، ويشير الله تعالى لذلك في قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (القصص:٧٢).

ويقول تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا﴾ (الإسراء:١٢).

والآية معناها: هي الشيء الجلي الواضح المنير، فآية النهار هي الضوء الواضح الذي نتمتع به طوال النهار، وآية الليل كانت هي الإضاءة المستمرة التي كانت موجودة قبل تكوين حزامي الإشعاع والتي محاها الله تعالى بخلق هذين الحزامين، لذلك يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (الإسراء:١٢).

حتى يكون هناك تبادل بين الليل والنهار، وليستريح الإنسان بعد عناء العمل بالنهار، ويعلم عدد السنين والحساب... إن كل ما أخبر به العلماء للقرآن الكريم السبق في الإشارة له، فهناك لم تزل جبال فيها البيوت التي كان ينحتها قوم عاد في تلك الجبال، وهناك لم يزل هذا الردم النحاسي الذي صنعه ذو القرنين، وهناك لم يزل مكان أهل الكهف، وقبور الأنبياء، وقبور الصحابة، وقبر النبي ﷺ ونجد ذلك من

(١) «الإعجاز العلمي في القرآن» الدكتور/ زغلول النجار في شرح ظاهرة الفجر القطبي.

الحقائق والآثار التي يعرفها من يطالعون الصحف الإسلامية، أو يزورون تلك الأماكن، فليشعر كل مسلم بالعزة والقوة والأمان لأنه يؤمن بهذا الكتاب الحق، ودستور النور للبشرية كلها..القرآن الكريم.

٥٩- رحمة الله في إمساك السماء:

إن بالسماء نجومًا قد تصل أعدادها إلى حبات الرمال على شواطئ البحار، ومنها ما يفوق الأرض والشمس حجمًا بمئات المرات... ولولا رحمة الله تعالى لوقعت السماء على الأرض بما تحتويه من تلك النجوم الهائلة وأهلكت الحرث والنسل.

ومن رحمة الله تعالى تلك النيازك التي تسقط على الأرض في الصحاري البعيدة بعيدًا عن المناطق الآهلة بالسكان، وهي تزود الأرض بما تفقده من معدن الحديد بسبب استهلاك الإنسان لهذا المعدن في أمور معيشته، وحتى تظل الأرض محتفظة بمجالها المغناطيسي، بوجود معدن الحديد في باطنها، والنيازك هذه أو الكسف، هي حجارة سماوية كبيرة الحجم ضخمة الجرم تسقط من الغلاف الجوي وتخترقه إلى سطح الأرض، يقول تعالى في ذلك: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

(سبأ: ٩)

ويقول سبحانه: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ (الحج: ٦٥).

وفي إحدى المناطق الصحراوية بمنطقة تسمى الأريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية تنقل الأخبار التاريخية عن سقوط نيزك احدث فجوة في الأرض عرضها ٤٢٨٠ قدمًا وعمقها ٦٠٠ قدم، وهناك العديد من الفوهات والفجوات والحفائر العميقة على كوكب الأرض في المناطق النائية، ومنذ فترة قريبة سقطت مجموعة من النيازك أو الكسف على سيبريا.

وهي المنطقة التابعة لجمهورية روسيا، فذهب ضحية ذلك ألف وخمسمائة شخص، وتقصفت الأشجار على مساحة مائة ألف ميل مربع تقريبًا وسمع الناس دويًا هائلًا على بعد أربعمائة ميل نتيجة هذا الارتطام فسبحان القادر على أن يسقط علينا كسفًا من السماء بذنوبنا فيهلكنا جميعًا ولكنه الغفور الرحيم.

٦٠- مغرب الشمس والعين الحمئة:

لقد أثبتت العلوم الحديثة الكثير من الحقائق والمعلومات التي لم يكن يُعرف عنها شيء من قبل كتباعد النجوم، واتساع الكون والنجوم الطارقة، والكانسة، والمراحل التي تمر بها النجوم من الانكدار، والطمس، وظلمات البحار، واكتشاف البرزخ، وغير ذلك من الحقائق المطابقة للقرآن والسنة النبوية... كذلك لقد اكتشف العلماء نافورات الماء الساخن الموجودة في بعض أطراف وبقع الدائرة القطبية الشمالية[(١)]، وهي عيون من الماء الحار تتصف بها تلك الأماكن ويخبرنا الله تعالى عنها في قوله تعالى عند الحديث عن ذي القرنين: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ ﴾ (الكهف: ٨٦).

٦١- الليل وإغشاء الشمس:

اكتشف العلماء أن الليل الدامس بظلمته الحالكة يمتد في كل الفضاء ليغشى كل الأجرام حتى أنه يغشى الشمس ذاتها، وهي مصدر الضياء، ولقد رآها رواد الفضاء على حقيقتها بعد عبور مسافة الضوء وهي ٢٠٠كم ابتداءً من سطح الأرض، فكانت كقرص أزرق في صفحة سوداء، ووجد العلماء أن وهج الشمس لا يرى ضوءًا إلا بعد عبور طبقات معينة في الغلاف الجوي تحتوي بخار الماء، وجزيئات الغبار العالق،

(١) «الله والعلم الحديث» عبد الرازق نوفل، وملخص مجموعة أبحاث علمية عن تلك الحقيقة.

والذي يشتت طاقة الشمس إلى ضوء النهار كما أشرنا سابقًا، ولقد أشار الله تعالى إلى تلك الحقيقة التي لم يكتشفها العلماء إلا قريبًا بعد ارتياد الفضاء، حيث يسيطر الليل في الفضاء الكوني بعد طبقة النهار على كل شيء حتى على الشمس ذاتها قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ (الشمس:١-٤).

ويصف الله تعالى الظلمة الشديدة في السماء في آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ ﴾ (النازعات:٢٨-٢٩).

وهناك دليل قرآني آخر يثبت أن الليل في الظلام الكوني يستر كل شيء قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴾ (النبأ:١٠).

٦٢- حقيقة الحجر الأسود:

لقد أثبت أحد علماء بريطانيا أن الحجر الأسود ليس حجرًا أرضيًا، حيث إنه حصل على عينة منه ليجري عليها أبحاثه المعملية، ليعرف السر وراء تقبيل المسلمين لهذا الحجر واهتمامهم به في مناسك الحج، ولقد اعترف هذا العالم بأن عناصره تختلف تمامًا عن عناصر تكوين الأرض، فهو يحتوي على عناصر غريبة تثبت أنه ليس من الأحجار الأرضية، ولقد وردت الأحاديث عن النبي ﷺ والتي تشير إلى تلك الحقيقة، وأن هذا الحجر قد أُنزل من السماء وهو من أحجار الجنة.

ولقد أخبرنا ﷺ عن الجنة وأن ملاطها المسك وترابها الزعفران، وحصباءها اللؤلؤ والياقوت[(١)]، وبالفعل من يقترب من هذا الحجر حتى الآن يشم

(١) جزء من حديث رواه ابن أبي الدنيا.

رائحة المسك الطيبة، ولقد نشر هذا العالم البريطاني[١] تلك الحقيقة في أحد الكتب العلمية التي قام بنشرها عن أبحاثه الجيولوجية في لندن ١٩٥٦ ميلادية.

٦٣- الميزان الإلهي في صنع الأرض:

اكتشف العلماء في عصرنا دوران الأرض وحركتها الدائمة حول نفسها وحول الشمس، ويسأل الإنسان أحيانًا نفسه: لماذا لا نتأثر نحن سكان الأرض بدورانها؟ والجواب هو أن الأرض تدور بسرعة شديدة يُقدرها العلماء بألف ميل في الساعة الواحدة، ويمثل العلماء وجودنا عليها بمثل حصاة موضوعه على محيط عجلة تدور بسرعة مذهلة، وتوشك الأرض أن تقذف بنا في الفضاء لولا أن الله تعالى المقدر لكل شيء جعل نعمة الجاذبية الأرضية تجعل الأرض لا تقذفنا بعيدًا بل تجذبنا نحوها بقوة.

والعجيب أن حجم الأرض ومكانها المناسب بالنسبة للشمس هو بالفعل ما يناسب حياة الكائنات على سطحها، فلو كانت الكرة الأرضية مثلًا أصغر من حجمها الحالي، أي مثل حجم القمر، لتغيرت جاذبيتها وأصبحت سدس جاذبيتها الحالية، وبذلك يستحيل أن تُمسك الماء والهواء من حولها، فسوف يبتعد الهواء عن مجالها إلى الفضاء الكوني البعيد وتنسكب مياه البحار والمحيطات بعيدًا عن مجاريها الحالية، وهروب الهواء منها سيكون نتيجته شدة حرارتها نهارًا حتى يحترق كل ما عليها وبرودتها ليلًا حتى يتجمد كل ما فيها.

وعلى العكس من ذلك فلو أن حجم الأرض أكبر من حجمها الآن وكان قطرها ضعف قطرها الحالي لتضاعفت جاذبيتها وبذلك ينكمش غلافها الجوي وهو الذي يبعد

---

(١) بحث جيولوجي، نشره العالم البريطاني في لندن عن حقيقة الحجر الأسود.

عنا حوالي خمسمائة ميل إلى ما دون ذلك فإن بانكماشه سوف يقترب من الأرض وبذلك يرتفع الضغط الجوي على الأرض، وبذلك تتأثر حياة الكائنات الموجودة عليها فلو أن الأرض وصل حجمها مثل حجم الشمس مثلًا لصارت قوة جاذبيتها أقوى مما هي عليه الآن بمائة وخمسين مرة، وبذلك يقترب الغلاف الجوي نتيجة الجاذبية الأرضية الشديدة حتى يقترب بدلًا من خمسمائة ميل إلى أربعة أميال فقط على سطحها، فبدلًا من أن يكون خمسة عشر رطلًا لكل بوصة مربعة فإنه سيصبح طنًا واحدًا لكل بوصة مربعة، وبذلك يُضغط حجم الإنسان ويهبط من حجمه الحالي إلى حجم فأر كبير[(١)]، وهذا ما يستحيل معه وجود المخ في الإنسان الذي يقتضي وجوده حجمًا معينًا يتناسب مع وظائفه الحالية بالإضافة إلى اختلال ضغط الدم في جسم الإنسان، كذلك لو أن الغلاف الجوي للأرض أقل سمكًا مما هو عليه الآن لاخترقت النيازك والشهب الثقيلة والملتهبة كل يوم غلاف الأرض وبذلك تظل الأرض مهبطًا للأجرام السماوية فتظل مضيئة ليلًا ونهارًا نتيجة الوهج الناتج عن تفاعل تلك الشهب مع الغلاف الجوي واختراقه.

كذلك فإن الجبال تثبت الأرض، حيث إن أسفلها طبقة منصهرة تسمى الوشاح السائل، ينشأ عنها ضغوط وحركة في ألواح الأرض الصخرية، والجبال بدورها تثبت قشرة الأرض، وتجعلها لا تميد ولا تتحرك، كذلك لو اقترب القمر من الأرض أكثر مما هو عليه الآن لتمكن من جذب الغلاف المائي فيرتفع منسوب المياه في البحار حتى يُغرق المد سطح اليابسة كلها، ولكن ارتفاع منسوب المياه الآن بظاهرة المد التي نعرفها هو نتيجة الجذب المحدود من القمر للغلاف المائي، إنه تقدير الله العليم الخبير، والمالك للسماوات والأرض يقول تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩).

---

(١) «الإسلام يتحدى» لوحيد الدين خان [ص: ٥٦].

٦٤- تمهيد الأرض وإبداع الخالق:

إن رحمة الله تعالى تتجلى في جعل الأرض صالحة للعمران، وفي خلق الإنسان بعد دحو الأرض وبسطها، وإخراج ما يحتاجه الإنسان من الماء والغذاء، ويشير العلماء في عصرنا بأن تضاريس الأرض الحالية هي نتيجة صراع طويل بين العمليات الداخلية البانية، والعمليات الخارجية الهدمية، والتي استغرقت حوالي الخمسة بلايين من السنين بمقاييس البشر، وتشير الدراسات الحديثة للأرض إلى أن هذا الكوكب بدأ على هيئة كومة من الرماد والسيليكون ثم رُجم بوابل من النيازك الحديدية التي تحركت إلى قلبه بحكم كثافتها العالية فانصهرت، وساعدت على صهر كومة الرماد تلك وعلى تمايزها إلى سبع أرضين، لب صلب داخلي أغلبه الحديد والنيكل يليه إلى الخارج لب سائل يغلب على تركيبه أيضًا الحديد والنيكل، ثم أربعة أوشحة متمايزة تقل كثافتها، كما تتناقص نسبة الحديد فيها باستمرار من الداخل إلى الخارج، ثم الغلاف الصخري للأرض، ومع تبرد قشرة الأرض وتيبسها، ومع بدء الأنشطة البركانية العنيفة فيها تصاعدت الغازات والأبخرة التي كونت غلافها الغازي والمائي، كما تصاعدت الطفوح والحمم والأجزاء الصخرية البركانية التي جددت الغلاف الصخري للأرض، وهي مرحلة دحو الأرض، وإخراج الماء والمرعى بتصاعد الغازات الهامة كثاني أكسيد الكربون الهام في عملية البناء الضوئي، وبتكون الغلاف المائي للأرض أحيط كوكبنا بمحيط غامر غطى سطحه بالكامل، وتحت مياه هذا المحيط الغامر بدأت عمليات التصدع في تمزيق قاعة إلى عدد من الألواح التي بدأت في التحرك متباعدة عن بعضها البعض أو منزلقة عبر بعضها البعض في حركة ديناميكية ساعدها دوران الأرض حول محورها، وتدفق الصهارة الصخرية والحمم البركانية عبر صدوع القاع في هذا المحيط الغامر، وتيارات الحمل في نطاق الضعف الأرضي من تحتها.

وبنمو تلك الجزر البركانية والتحامها مع بعضها تكونت القارة الأم التي طفت بصخورها الخفيفة نسبيًا فوق قاع المحيط الغامر الذي تكون من الصخور البازلتية الأعلى كثافة، وبتكرار تصادم الألواح الصخرية في قاع المحيط تكونت السلاسل الجبلية التي ألصقت بحواف تلك القارة بالتدريج، لتضيف إلى مساحتها مساحات جديدة وتبطئ من حركتها التي بدأت سريعة، وبارتفاع الحرارة تحت أحزمة محددة من الكتلة القارية الأولى بسبب التحلل النووي للعناصر المشعة فيها تكون ما يسمى بالنطاق الحار، وباندفاع تيارات الحمل في نطاق الضعف الأرضي تفتت تلك القارة إلى عدة قارات وبدأت الحركات الداخلية للأرض في دفع تلك القارات للتباعد أو التقارب من بعضها البعض.

وكذلك ساهمت تلك الحركات في دفع الألواح الصخرية المكونة لقيعان المحيطات لتتباعد عن بعضها لتتحقق بذلك ظاهرة توسع قيعان البحار والمحيطات، وباصطدام تلك الألواح الصخرية بكتل القارات تتكون السلاسل الجبلية باستمرار، ولا تتوقف هذه الحركات الأرضية العنيفة إلا باصطدام قارتين بعد تلاشي قاع المحيط الذي كان يفصل بينهما وباصطدامهما تتكون أعلى السلاسل الجبلية كما حدث عند اصطدام الهند بالقارة الأسيوية، وحين ينغلق محيط من المحيطات باصطدام قارتين كانتا مفصولتين عن بعضهما البعض، فقد تنقسم قارة من القارات بواسطة تصدع في أحد أجزائها فيتحول إلى غور عميق أو وادي خسيف أو بحر طولي شبيه بالبحر الأحمر، ويستمر نشاط اتساع القاع في هذا البحر حتى يتحول إلى محيط كالذي تم غلقه، وتأتي المياه إلى هذا الغور أو الوادي عن طريق انخفاض منسوبه عن منسوب مياه البحار والمحيطات من حوله فتندفع المياه فيه حتى يتحول إلى بحر كما أشرنا، ومن ذلك نجد أن القارات تبدأ بسلاسل من الجبال شديدة الوعورة قاسية التضاريس لا تصلح

لزراعة ولا لصناعة أو انتقال أو عمران ثم يسخر الله تعالى العمليات الجوية والبيئية المختلفة حيث عوامل التعرية، والترسيب بواسطة كل من الرياح والمياه والجاذبية الأرضية والتي تساعد في تحويل الأحزمة الجبلية المعقدة إلى تلال متوسطة الارتفاع يتم بريها إلى سهول منبسطة مع الزمن، وكما يتم شقها بواسطة أودية تجري فيها الأنهار وتحمل رسوبيتها إلى السهول والمنخفضات ثم إلى أعماق البحار التي تصب فيها، وهناك أيضًا دور الصخور التي تؤثر فيها عوامل التعرية والبري، والتآكل، فتعمل على تسوية الأرض، وتمهيدها وشق السبل، وتكوين التربة الصالحة للزراعة والإنبات، حيث يتحول البازلت الموجود في الصخور إلى طمي وتربة خصبة بها نسبة عالية من الأملاح المعدنية، وكذلك تزويد البحار والمحيطات بالأملاح اللازمة لحفظ مياهها من الفساد، وهكذا تظل عمليات تعرية الصخور حتى تتحول المناطق شديدة التضاريس إلى سهول، وهكذا تتكرر الدورة وتتكون أنواع الرسوبيات المختلفة، وكلما ضعفت قشرة الأرض نتيجة عوامل التعرية، أو تأثرها بالتعرض لأحمال زائدة، فينتج عن ذلك تحرك وزن مكافئ من الصهارة الصخرية في نطاق الضعف الأرضي تحت نفس المنطقة وتسمى الأولى بالتضاغط الأرضي، والثانية بالارتداد التضاغطي، وهكذا تظل عمليات الاتزان الأرضي مستمرة مع عمليات التعرية طوال دورات البناء، ومن العجيب توقف عمليات التعرية حين يصل سطح الأرض إلى مستوى سطح البحر، وقد يرتفع منسوب المياه ويزحف إلى الأرض نتيجة الظواهر الجوية المختلفة وهكذا حتى أصبحت الأرض صالحة للعمران ممهدة وتحتوي على تربة خصبة صالحة للزراعة وملائمة لحياة الإنسان، ولقد ظلت تضاريس الأرض عبر ملايين السنين تعتريها عمليات البناء.

والهدم منذ اللحظة الأولى لنشأتها حيث تأثرت بعوامل الهدم الخارجية من رياح ومياه جارية، وعمليات المد والجزر، وأعمال الكائنات الحية والنباتات التي خلقها الله تعالى، والتي ساهمت بقاياها في إثراء باطن الأرض بمختلف المواد البترولية والوقود الذي يحتاجه الإنسان، والتي تترسب على مر الزمن في صورة الرسوبيات أو الصخور الرسوبية.

ولقد ساهم كل ذلك في جعل الأرض صالحة للعمران وصالحة للإنبات لينتفع الإنسان بخيراتها، ولقد تمت عمليات تسوية الأرض ودحوها لجعلها صالحة للعمران على فترات زمنية يعلمها الله تعالى ولقد استهلكت من الطاقة والوقت ما لا تستطيع البشرية مجتمعة عبر عصور وجودها على هذا الكوكب وبكل ما جمعت من قوة وثروات أن تقوم بالوفاء بتكلفته، إنه التمهيد الرباني والإبداع الإلهي، والقوة التي لا يمكن لبشر أن يمتلكها لإجراء تلك التسوية، يقول تعالى في ذلك: ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾ (الذاريات:٤٨).

٦٥- تدبير الخالق وتصريف الرياح:

لقد وجد العلماء أن الرياح التي تتحرك من حولنا أو الهواء الذي يختلف من النسيم، إلى العواصف الشديدة، لم يتحرك هكذا دون تصريف أو تدبير، حيث تتأثر الرياح بالجاذبية الأرضية، والاحتكاك بسطح الأرض، والضغط الجوي، وفي الطبقات العليا تتأثر الرياح بالكهربية الجوية، والمغناطيسية، وعمليات المد والجزر الهوائيين وتُقسم الرياح بالنسبة إلى ارتفاعها عن سطح الأرض إلى:

١- رياح سطحية تمتد من مستوى سطح البحر بضعة كيلو مترات قليلة فوقه.

٢- رياح متوسطة وتمتد فوق الرياح السطحية إلى ارتفاع ٣٥ كم فوق سطح البحر.

٣- رياح مرتفعة تمتد من ٢٥ كم إلى ٦٥ كم فوق سطح البحر، والنوع الأول القريب من سطح الأرض، وهو الرياح السطحية ينقسم حسب شدته إلى هواء ساكن، ثم ريح خفيفة يصفها الله تعالى بالريح الساكن، ثم هناك نسيم عليل، ونسيم رقيق ونسيم معتدل، ونسيم منعش.

ويصفها الله تعالى بالريح الطيبة، ثم هناك النسيم الشديد وشبه الزوبعة، والزوبعة أو الريح الهوجاء ويسميها الله تعالى بالريح العاصف، وفي تصنيف العلماء[(١)] هناك الزوبعة الشديدة والعاصفة، والعاصفة المدمرة، والإعصار، ويسميها الله تعالى بالريح القاصف يقول تعالى: ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ (الإسراء:٦٩).

وتتأثر الرياح عند توزيعها وتصريفها بالمناطق ذات المناخ الاستوائي والمناطق ذات المناخ المعتدل الرطب والمناطق ذات المناخ الجاف كالصحاري، والمناطق ذات المناخ البارد الرطب، والمناطق ذات المناخ القطبي، والمناطق ذات الجبال والمرتفعات وبذلك تصرف الرياح المختلفة شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا منحرفة ومستقيمة، دافئة وباردة بتدبير الله تعالى وفق تصميمه في هذا الكون المليء بالإبداع، ولقد جعل الله سبحانه حركة الرياح تتأثر بحركة الأرض حول محورها أمام الشمس حيث تتدفق التيارات الهوائية الساخنة من المناطق الاستوائية في اتجاه القطبين، وتدفق التيارات الباردة من القطبين في اتجاه المناطق الاستوائية فيكون الناتج موجات هوائية دافئة ورطبة ترتفع إلى أعلى، وبعضها باردة، وجافة، ومتوسطة، تهبط إلى أسفل، وبذلك فإن فرق درجات الحرارة والتضاريس على سطح الأرض كالجبال، والتلال، والهضاب،

(١) انظر: «سلسلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة»، الشيخ عبد المجيد الزنداني في تصنيف الرياح ووصف الظواهر الجوية.

ودوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق والذي يؤدي إلى دفع الهواء المحيط بالمنطقة الاستوائية في اتجاه الغرب، والهواء المتحرك في اتجاه القطب ينحرف تبعًا للعزم الزاوي للهواء ناحية الشرق، وهكذا يختلف تصريف الرياح بما ينفع البشر بقدرة الله الذي يصرفها بعلمه؛ حيث عن طريقها تتكون السحب، وينزل المطر في فصوله المناسبة وتساعد الرياح في تفتيت الصخور بعوامل التعرية، وبذلك تتكون التربة المختلفة وتعمل الرياح أيضًا على تنقية الجو وتطهيره، ولقد أدرك العلماء في عصرنا وبعد دراسات كثيرة أن الرياح لا تتحرك وتتنوع بذاتها ولكن بتدبير وتصريف وإبداع يقول تعالى: ﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ (الجاثية:٥).

٦٦- خلق الظلمات والنور:

تحدثت مراكز الفضاء في عصرنا عن حقيقة توسع الكون في مطلع القرن العشرين واستنتج العلماء أن كوننا بدأ خلقه من نقطة متناهية الصغر، حيث تتكدس المادة والطاقة فيها إلى أعلى درجة، وأن هذه النقطة انفجرت فتحولت إلى سحابة من الدخان خُلقت منها السماوات والأرض، مع توسع الكون ثم تبرده من مئات البلايين من الدرجات المطلقة إلى حوالي ثلاث درجات مطلقة تقاس اليوم على جميع أطراف الجزء المدرك من الكون أو السماء الدنيا، ولقد تكونت المادة ومختلف صور الطاقة بعد ذلك على مراحل منها:

عصر الكواركات والجليونات:

وقد استمر لجزء من مائة ألف مليون جزء من الثانية بعد عملية الانفجار العظيم وفيها خلقت اللبنات الأولى للمادة وأضدادها من الدخان الكوني، وفيها انفصلت القوة الشديدة عن القوة الكهربية الضعيفة.

عصر اللبتونات:

وقد استمر إلى جزء من مليون جزء من الثانية، وفيه تميزت الإليكترونات والنيوترونات وأضدادها عن الكواركات، وانفصلت القوة الكهربية الضعيفة.

عصر النيوكليونات وأضدادها:

وقد استمرت إلى ٢٢٥ ثانية بعد عملية الانفجار، وفيه تم تكوين البروتونات ونقائضها والنيوترونات ونقائضها.

عصر تخلق نوى ذرات العناصر:

وفيه تم الاندماج النووي، وتكونت نوى ذرات الهيليوم الناتجة من اتحاد نوى ذرات الأيدروجين، ثم بعد ذلك عصر تخلق الأيونات، وفيه تكونت أيونات كل من غازي الأيدروجين والهليوم، واستمر الكون في الاتساع والتبرد ، ثم تلي ذلك عصر تخلق الذرات، وفيه تكونت ذرات العناصر وترابطت بقوى الجاذبية، وأصبح الكون شفافًا بعد أن كان دخانًا كثيفًا مظلمًا وامتد في الفترة من عشرة ترليونات ثانية إلى ألف ترليون ثانية بعد عملية الانفجار، ثم تلي ذلك عصر تخلق النجوم المستعرات وغير ذلك من العناصر وذلك من نحو عشرة بلايين من السنين، يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (فصلت: ١١).

وقد تدرج الكون في الظلمات حتى تحول إلى النور والشفافية فهناك:

الظلمة الأولية للكون: وقد تميزت بالكثافة العالية لمادة الكون الأولى وهي الدخان وتميزت بالعتمة الكاملة والإظلام التام.

obeikandl.com

الظلمة الحالية للكون: وهي أن النجوم بدأت في إرسال أضوائها إلى فسحة السماء ولكن أغلب تلك الأضواء هي أشعة غير مرئية كالأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية والسينية وأشعة جاما، لذلك فإن أغلب الكون ظلام، ولا يرى الضوء إلا في المسافة المعروفة وهي ٢٠٠كم بداية من سطح الأرض وحتى الغلاف الجوي.

ظلمة أعماق البحار والمحيطات: حيث تنفذ أشعة الشمس إلى داخل كتلة الماء وتتعرض لعمليات عديدة من الانكسار، وكلما زاد العمق كانت الظلمة أشد، حيث تمتص أطياف الضوء بالتدرج حسب أطوال موجاتها بدءًا بالأحمر، وانتهاءً بالبنفسجي ولقد اكتشف العلماء نوعًا من الموج العميق يحول دون وصول الضوء عند عمق معين إلى قاع البحار يقول تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ (النور: ٤٠).

وهناك ظلمات الأرحام، وظلمة القبر، وغير ذلك من أنواع الظلمات، والتي نرى تعددها، وأما النور فهو مفرد غير متعدد تبدو به الحقائق، وقد أشار الله تعالى لذلك وجمع كلمة الظلمة، وجعل النور مفردًا وذلك قوله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام: ١)

٦٧- آيات بينات:

إن الكعبة المشرفة بها الكثير من الآيات البينات منها أن أفئدة من الناس تهوي إليها، ومن يذهب بالفعل يتعلق فؤاده بالرجوع إليها مرة ثانية، كذلك فإن الطيور لا تحط عليها ولا تُلقي فضلاتها عليها، ولا تمر من فوقها ولكن تمر حولها، وكذلك فإن الطيور الجارحة لا تختلط بالطيور حول الكعبة وترجع عند الوصول إليها، كذلك فإن جبل مزدلفة رغم أنه مرتفع صغير ويرجم الناس من حصاه منذ بدأت أعمال الحج

وحتى وقتنا هذا وهو لا ينفد، ولقد وجد العلماء وثبت لهم في منتصف الستينات من القرن العشرين أن أرضنا في مرحلة من مراحل خلقها كانت مغمورة بالماء غمرًا كاملًا لم يدع منها شيئًا مكشوفًا من اليابسة حيث أن ٣/ ٤ مساحة الكرة الأرضية ماء يقول تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ (هود: ٧).

ثم حدثت ثورة بركانية ظلت تلقي بحممها والتي تراكمت فوق بعضها وكونت سلسلة جبلية وسط هذا المحيط، وظلت تنمو تلك السلسلة حتى كونت أول جزء من أجزاء اليابسة على هيئة جزيرة بركانية، ثم بدأت في النمو حتى كونت القارة الأم، وشاءت إرادة الله أن يقسم تلك القارة بواسطة الصدوع العميقة والحركات الأرضية، وتحولت إلى القارات السبع الحالية.

ومع ظاهرة تزحزح القارات وصلت إلى مواقعها التي هي عليها اليوم، ويعرف العلماء تحول المحيط المائي إلى اليابسة بواسطة الثورات البركانية المتكررة فتتكون الجزر البركانية المرتفعة التي تنمو فتتحول إلى قارة ثم بواسطة تصدع وخسف أجزاء من تلك القارة تنفصل إلى كتلتين متوازيتين يفصلهما بحر طولي شبيه بالبحر الأحمر، يظل يتسع باستمرار حتى يتحول إلى محيط ويخبرنا ﷺ منذ ألف وأربعمائة عام بقوله «**كانت الكعبة خشعة على الماء فدحيت منها الأرض**». وبذلك تكون الصخور أسفل الكعبة من أقدم الصخور، وقد أثبت العلماء أنها صخور من نوع خاص تقاوم الزلازل، وكذلك فإن مكة المكرمة هي مركز دائرة تمر بأطراف جميع القارات وبذلك تكون هي مركز اليابسة.

وقد اكتشف العلماء أن الأرض هي مركز السماوات السبع وذلك لأن قطر أي شكل هندسي هو الخط الواصل بين طرفيه مرورًا بمركزه، وتشير الآية القرآنية إلى

انطباق أقطار السماوات رغم ضخامتها على أقطار الأرض رغم ضآلتها مما يثبت أن الأرض هي مركز الكون وذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ ﴾ (الرحمن: ٣٣).

ويدعم ذلك ذكر الأرض دائمًا مقابلة للسماوات: ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ﴾ (المائدة: ١٧).

كذلك أثبت العلماء أنه لا يوجد أي قدر من الانحرافات المغناطيسية على خط طول مكة المكرمة، بينما يوجد عند جميع خطوط الطول الأخرى، وأيضًا وجد العلماء الباحثون أن الكعبة المشرفة مبنية بأضلاعها الأربعة في الاتجاهات الأربعة الأصلية تمامًا، فضلعها الذي به المرزاب، والمطل على حجر إسماعيل والذي يضم الركنين العراقي والشامي يقام في اتجاه الشمال الحقيقي، ويقابله في اتجاه الجنوب الضلع الذي يضم ركن الحجر الأسود والركن اليماني، وضلعها الذي به الباب والملتزم يواجه الشرق تمامًا ويقابله الضلع الغربي الذي يضم كلًا من الركنين الشامي واليماني، وتحديد تلك الاتجاهات بهذه الدقة في زمن موغل في التاريخ كالذي بنيت فيه الكعبة المشرفة ينفي إمكانية كونه عملًا بشريًا، كذلك روى أُبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «**الحجر الأسود نزل به ملك من السماء**».

وحين عرف المستشرقون بمثل هذا الحديث عن الحجر الأسود فقد استأجرت الجمعية الملكية الجغرافية البريطانية ضابطًا بريطانيًا باسم ريتشارد فرانسيس بيرتون، جاء إلى الحجاز في هيئة حاج أفغاني وذلك سنة ١٨٥٣م بهدف سرقة جزء من الحجر الأسود والفرار به إلى بريطانيا، وبالفعل تم له ذلك وبدراسة العينة المسروقة ثبت أنها من أحجار السماء، فهي تشبه أحجار النيازك ولكن تتميز بتركيب كيميائي ومعدني خاص، ولقد كان هذا الاكتشاف سببًا في إسلامه.

وقد سجل قصته في كتاب في جزأين بعنوان «رحلة إلى مكة» كذلك فإن مقام إبراهيم به أثر قدم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يرفع القواعد، ولين هذه الصخرة الصلدة إلى هذا الحد معجزة بكل المقاييس، يقف العلم عاجزًا عن إمكانية تفسيرها يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**الحجر والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة**».كذلك فإن تدفق الماء من بئر زمزم على مدى أكثر من ثلاثة آلاف سنة من قلب صخور نارية ومتحولة شديدة التماسك والتبلور، إضافة إلى طمرها وحفرها عدة مرات، ولم يُعرف مصدر هذا الماء المتدفق إلى البئر إلا بعد حفر الأنفاق حول مكة المكرمة.

حيث أدرك العاملون في حفر تلك الأنفاق أن الماء يتدفق من تشققات شعرية دقيقة تمتد لمسافات بعيدة خارج حدود مكة المكرمة وفي جميع الاتجاهات من حولها، وهذه الملاحظة تؤكد وصف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه البئر بأنها نتجت عن طرقة شديدة من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**هي هزمة جبريل وسقيا الله لإسماعيل**». والهزمة في اللغة هي الطرقة الشديدة،كذلك وصفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن فيه: «**طعام طعم وشفاء سقم**».

فلو تناوله الحاج لعدة أيام دون طعام فإنه يمد الجسم بالعناصر الغذائية اللازمة له، كذلك فإن أعداد كبيرة من الأنبياء والصالحين مدفونة في الحرم المكي، وقد طاف بالبيت الكثير من الأنبياء وآثارهم لا تزال موجودة في تلك البقعة المباركة كحجر إسماعيل ومسجد الحيف ويروى أن هناك قبر سبعين نبيًا، ويروى عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «لو كنت في أهل مكة ما أخطأتني جمعة لا أصلي فيه، ولو يعلم الناس ما فيه لضربوا إليه أكباد الإبل» كذلك فإن جزيئات المادة في دوران مستمر عكس عقارب الساعة كالطواف حول البيت الحرام، وقد جعله الله تعالى ﴿**مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا**﴾ ومثابة

أي: رجوعًا، وبالفعل كل من يذهب لزيارته يرغب في الرجوع إليه ثانية وأيضًا فيه الأمن حيث تضاعف فيه عقوبة من يقترف السيئة.

٦٨- انضباط الكون:

لقد أثبتت الدراسات الخاصة بعلوم الأرض أن هذا الكوكب يرجع عمره إلى أكثر من ٤،٦بليون سنة مضت، بينما يرجع عمر أقدم أثر للحياة في صخور الأرض إلى ٣،٨ بليون سنة مضت، وهذا يعني أن عملية إعداد الأرض للحياة استغرقت أكثر من ثمانمائة مليون سنة، وجاء الخلق على مراحل متطاولة بهدف إعانة الإنسان على تتبع سنن الله في الأرض وأن لا يكون عجولًا، وكذلك فإن تلك السنين تمر في حساباتنا بطيئة ولكنها عند الله تعالى ربما كلمح البصر حيث إن الله تعالى لا يحده زمان ولا مكان، وكان الماء يغمر الكون كما أشرنا سابقًا، يقول تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ (هُودٌ :٧).

حيث جعل الله تعالى منه كل شيء حي، وخلق الله تعالى السماوات والأرض وأمسكهما برباط لا يقدر عليه غيره وجعل كونه محكمًا بعدد من القوى التي أودعها بين الجزيئات والأجرام كالقوى النووية الشديدة التي تعمل على تماسك نوى الذرات، والقوى الكهرومغناطيسية التي تحكم ذرات العناصر وتجعلها في جزيئات ومركبات تنطلق في صورة فوتونات، وطاقة حرارية أو ضوئية ينتفع بها البشر، والقوى الذرية الضعيفة التي تُمسك بلبنات المادة داخل الذرات ولولا ذلك لأصبح الكون مليئًا بنوى الذرات فقط، وهناك قوى الجاذبية، وهي القوى التي تمسك بأطراف السماء وبكل أجرامها، ولو زال هذا الرباط لانفرط عقد الكون وانهارت مكوناته، إنه البناء المحكم

لكل أجرام الكون يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

(البَقَرَة: ٢٢)

ولقد جعل الله تعالى الجبال رواسي في الأرض حيث اكتشف العلماء أن الجزء البارز من الجبال فوق سطح الأرض هو في الحقيقة ليس إلا القمم البارزة لكتل هائلة من الصخور التي تطفو في نطاق الضعف الأرضي كما تطفو جبال الجليد في ماء المحيط حيث تطفو ألواح الغلاف الصخري للأرض فوق نطاق من الصخور شبه المنصهرة، وهو ما يُعرف بنطاق الضعف الأرضي، وبذلك فإن الجبل يطفو ويغوص بأوتاده حتى يخترق القشرة الأرضية إلى المنطقة شبه المنصهرة؛ لذلك وصف الله تعالى الجبال بالرواسي، حيث ترسو بأوتادها في نطاق الضعف الأرضي كما ترسو السفينة في ماء البحر على مرساتها، وهذا يقلل من ترنح الأرض عند دورانها حول محورها، ويجعل حركتها أكثر انتظامًا تمامًا كما تفعل قطع الرصاص التي توضع حول إطار السيارة للتقليل من اهتزازاتها لتنتظم حركتها، وبذلك أصبحت الأرض مهيئة للعمران بمختلف صور الحياة يقول تعالى في ذلك ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (النَّحل: ١٥).

ويبدو الإعجاز القرآني في ربط الله تعالى الأنهار بالسبل، حيث اكتشف العلماء أن الأنهار بعد جفافها لتغير الظروف المناخية أو تعرضها للانتقال البطيء بمرور الزمن، فإنه بجفاف مجرى النهر، أو تغييره فإن المجرى القديم يترك سبيلًا ميسرًا لحركة كل من

الإنسان والحيوان[١]، حيث إن جريان الماء بين الصخور يسبب شقًا وسبلًا بمرور الزمن يسهل السير فيها بعد ذلك.

وقد تعرضت الأرض في فترات إعدادها للحياة إلى الكثير من الفترات الزمنية التي تغمر بعض أجزائها الماء ثم تجف، ثم يكون الغمر في مناطق أخرى ثم الجفاف، وهكذا حتى مهد الله تعالى الأرض للحياة مع ما تركته الرياح وعوامل النفاذية والصدوع، والطفوح البركانية، وتحرك القارات من آثار على فترات زمنية متباعدة تمهيدًا لأن تكون الأرض فراشًا للإنسان يسهل له السير فيها وعمارتها بالزراعة والصناعة والانتفاع بما فيها من الثروات، وهذا هو السر في قدم عمر الأرض بالنسبة لنا ولكن الفترات الزمنية عند الله تختلف، فربما هي كلمح البصر أو أقرب، ولنا مثل في إسراء النبي ﷺ بقدرة الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ورؤية آيات كثيرة وذلك في جزء قليل من الليل.

ولكن بقدرات البشر كانوا يضربون أكباد الإبل شهرًا بتلك المسافة الأرضية، فما بالنا بالعروج أيضًا، ورحلة السماء، فسبحان الذي جعل الأرض فراشًا والسماء بناءًا، ومن عظيم حكمة الله تعالى في إحكام كونه أنه ضبط الليل والنهار لتصل الطاقة إلينا من النجوم بالقدر الذي يعين الإنسان على عمارة الأرض، فلو زادت كمية الطاقة التي تصلنا من الشمس ولو قليلًا لأحرقت كل ما حولنا، لذلك أشار القرآن الكريم إلى ثبات عدة الشهور باثني عشر شهرًا منذ خلق الله السماوات والأرض وهو تأكيد

(١) «الإعجاز العلمي في القرآن» الدكتور/ زغلول النجار - حول إبداع الله تعالى في خلق الأرض، وتنظيم حركتها، وتمهيدها للحياة.

obeikandl.com

ضمني على انضباط كتل وأحجام وأبعاد وسرعات الأرض، وجميع أجرام الكون منذ بداية الخلق وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإلا لانهار بناء الكون.

والمعروف أن سنة أي كوكب هي الفترة الزمنية التي يستغرقها ليتم دورة كاملة حول النجم وبسرعة محددة حسب طول مدار الكوكب حول النجم وكتلة الكوكب بالنسبة للنجم وذلك مرتبط بالجاذبية وحسب قانون تكافؤ المساحات مع الزمن فكلما اقترب القمر من الأرض أو اقتربا معًا من الشمس لابد من ازدياد السرعة المحيطة لكل منهما لتزداد قوة الطرد المركزي وإلا ارتطم كل منهما بالآخر وبالتالي تزيد عدة الأيام والشهور ولكن القرآن الكريم يشير إلى انضباط الكون في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ (التوبة: ٣٦).

إنه الوحي الحق من الله علام الغيوب يقول تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (سبأ: ٦).

٦٩- حقائق وإعجازات:

كلما كانت الأبحاث البشرية كانت الإعجازات القرآنية سابقة... يعترف سير برنار لوفيل مؤسس ومدير محطة الأرصاد الجوية التي تعمل بالتلسكوب الراديوي في إنجلترا أن أصل الكون ما زال علم الإنسان عنه ضئيلًا رغم ما توصل إليه العلماء من اكتشافات يقول تعالى: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ .

(الكهف: ٥١)

كذلك فلقد دعت المنظمة الدولية للكفن المقدس «الفاتيكان» لإعلان نتائج الأبحاث العلمية التي أجريت على الكفن المقدس في كاتدرائية تورينو، وقالت إن نتائج الأبحاث تثبت نظرية المنظمة بأن المسيح لم يمت على الصليب وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء:١٥٧).

كذلك اعترف علماء البحار بأن البحر ظلمات متدرجة، فنجد قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ (النور:٤٠).

وحين اكتشف علماء الفضاء أن أصل السماء هو الدخان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ (فصلت:١١).

وغير ذلك الكثير من الحقائق، إنه الوحي الإلهي الحق، فالحمد لله أنه سبحانه يرينا آياته فنعرفها فنثبت على الإيمان واليقين بقدرته، يقول سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت:٥٣).

٧٠- ليس في خلق الرحمن من تفاوت:

سبحان الله العلي الكبير... سبحان الملك المحيط... لقد رصد العلماء بواسطة علم الفلك الراديوي وهو أدق رصدًا للنجوم من التلسكوبات المعروفة، نجومًا يطلق عليها أشباه النجوم، أو الكوازارات، قوة إضاءة الجرم الواحد منها يعادل قوة الإضاءة المنبعثة من عشرين مجرة بما تحتويه كل مجرة من أعداد هائلة من النجوم،ومعدل الطاقة المنبعثة من النجم الواحد يعادل الطاقة المنبعثة من عشرين مجرة بما تحتويه كل مجرة من أعداد هائلة من النجوم، أي أن معدل الطاقة المنبعثة من النجم الواحد يعادل الطاقة المنبعثة من عشرين مجرة بما تحتويه كل مجرة من أعداد هائلة من النجوم أي أن معدل الطاقة المنبعثة من النجم الواحد يعادل الطاقة المنبعثة من ألف مليار شمس كشمسنا

التي نظن أنها هائلة، إن هذه النجوم يعترف العلماء أن لها قوة جذب هائلة تفوق الخيال، إنها قوة الجذب التي يصير أمامها الكوكب أو الكرة الأرضية التي نعيش عليها تنكمش وتصير كبيضة الدجاجة في حجمها، وصدق سبحانه وتعالى في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ (غَافِر: ٥٧).

كذلك فإن كل مخلوق يتكون من ذرات وكل ذرة لا يختلف نظامها عن الأخرى فذرة الهيدروجين في قطرة الماء، هي تمامًا كما في النبات وكما في جسم الإنسان أو في الهواء، أو الكواكب، يقول تعالى: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ (المُلْك: ٣).

فسبحان مالك الملك أمر بعدم الذل إلا له، فعن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال «**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم**»، ومع قدرته أمر بالرحمة وكظم الغيظ، لذلك كان من فطنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لا يولي رجلًا يغضب لنفسه حتى لا يظلم أحدًا وقدوتنا في ذلك رسولنا ﷺ كان حليمًا لا يغضب ولا يُستفزُّ إلا إذا انتهكت حرمات الله، وأمر بالرضا بحدوده وابتلائه وقضائه، فالرجم للزاني المحصن، والنار للعاصي، والفقر والغنى لحكمة يقدرها الله سبحانه، فمن العباد من إذا أغناه الله لفسد حاله، ومن إذا أفقره لفسد حاله، فسبحان الحكيم الخبير، علام الغيوب، من يؤتيه الله الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، لقد كان الحسن البصري زاهدًا في الدنيا، وفيها عند الناس، لذلك كان محبوبًا يلتف الناس حوله، يسألونه في أمور دينهم، إنها الحكمة التي منَّ الله تعالى عليه بها حيث إنه زهد في الشهوات التي يضعف أمامها الكثير من الخلق ومن أمثلتها النساء، والمال، والبنون والطعام، وغيرها، وهي في النهاية تنتهي إلى لا شيء، فالإنسان لا يذكر الأمس أو طعام الأمس، أو المال الذي أنفقه بالأمس، كلها إلى زوال ثم تنتهي

كلها بالموت، ومن فهم ذلك كان قانعًا راضيًا في كل حال وازداد حكمة وبصيرة حيث لا يكتمل الإيمان، حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وإن صاحب العقل السليم يجب أن يكون سليمًا في فكره دقيقًا بليغًا في كلمته لا ينظر إلى الحرام أو يمد عينيه إلى ما متع الله به غيره، ولا يتصرف في المواقف بما ينقص قدره، يحب إخوانه في الله دون مصلحة أو مكسب، حيث يقول تعالى في الحديث القدسي: «**المتحابون بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي**»، والمؤمن بطبيعته يجب أن يكون كما وصفه ﷺ «**هَيِّن لَيِّن ألف مألوف**» وقد ورد عنه ﷺ أن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم، والله تعالى يؤيد عبده الصابر وينصره، لذلك كن دائمًا مع ربك، إذا أنس الناس بالدنيا فأنس أنت بالله، وإذا استغنى الناس بالدنيا فاستغنِ أنت بالله، إن من يترك داره يحن إليها مهما سافر وانتقل في البلاد، ولقد كان أبوينا آدم وحواء في الجنة قبل أن يخرجا منها بسبب إغواء عدوهما إبليس اللعين، إن دار أبوانا كانت الجنة، ألا نَحِنُّ لتلك الدار، لقد كان خروجهما بسبب طاعة هذا العدو، ألا نعصه نحن ونتعلم من الخطأ السابق لنعود إلى الدار التي رضيها الله لنا، ولا يكون مصيرنا إلى ما يرضاه لنا إبليس بالمخالفة والمعصية إلى جهنم وبئس المصير، فعلينا بتعلم العلم وتبليغه يقول ﷺ: «**مَنْ تعلَّم علمًا لا يتعلمه إلا ليصيب عرضًا من أعراض الدنيا لا يرح عَرْف الجنة يوم القيامة**»، أي يجب أن يبتغي بالعلم وجه الله ليكون نفعه طريقًا لك إلى الجنة واعلم أنك إن أقرضت قرضًا وأنظرت المعسر، فإن كل يوم يمر يزيد لك في الأجر أضعافًا مضاعفة، **لذلك فمن يعفو** عن هذا الدين فإن له أجرًا كبيرًا عند ربه لذلك يقول سبحانه: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٨٠).

وإن عاهدت الله فلا تخلف لقوله تعالى في حق من عاهد النبي ﷺ وطلب منه أن يدعو له بأن يكثر ماله وسوف يتصدق ويشكر الله، ولكنه أخلف وبخل فكانت النتيجة قوله تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ (التوبة:٧٧).

وإن تدخل الشيطان وجعلك تكره زوجتك وألحَّ عليك بفراقها فتذكر قوله تعالى ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:١٩). وعلى المؤمن أن يكون كريمًا لقوله ﷺ: «**الشحيح لا يدخل الجنة**»، وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة خبٌ ولا منان ولا بخيل**» والمؤمن لا يحسد لأنه زهد في الدنيا وفيما عند الناس، بل يتمنى الخير لإخوانه ويدعو لهم بما يحب لنفسه حيث هناك ملك وكِّل عند دعائك لأخيك المسلم يقول: «آمين ولك بمثل ذلك» وعلى المؤمن أن يصبر على أمر الدعوة كما صبر ﷺ حيث أدميت قدمه الشريفة ولاقى الكثير من المشركين، واستمر في دعوته ولم يتراجع، وانتشر الإسلام شرقًا وغربًا. ولا تنظر إلى الغد أنه جوع، وفقر، ومرض؛ لأن الشيطان يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء، والله يعد بمغفرة منه وفضل، يقول تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾ (البقرة:٢٦٨).

إن أصابك هم أو غم فامنح غيرك معروفًا، أو أعط محرومًا، أو انصر مظلومًا، أو أنقذ مكروبًا، أو أطعم جائعًا، أو عُدْ مريضًا، فسوف تجد السعادة تغمرك، ويزول همك ومع تلك السعادة يفرج الله عنك من كربات يوم القيامة، واعلم أن الرزق ليس في المال فقط فالزوجة الصالحة رزق، والأولاد رزق، والعلم رزق، والطعام والشراب رزق، والإيمان رزق، والرضا والقناعة رزق، والصحة رزق، هناك أمراض ينفق صاحبها كل ما يملك رغبة في الشفاء وعندها يدرك أن كل ما يمنحه الله ليعبده هو رزق يستوجب

الشكر والقناعة، **فعليك أخي المسلم** بالصبر على دينك وإن قتلت وحرقت، لقد كان يؤتى بالرجل ممن كانوا قبلنا فينشر بالمنشار من مفرق رأسه حتى قدمه فلا يثنيه ذلك عن دين الله، لذلك لابد أن يعلو حبك لله فوق كل شيء فهو الباقي، وكل ما منحه هو من عطائه، فله الأمر من قبل ومن بعد، والحمد لله بلا نهاية على فضله، ورحمته، ومنحه وطيباته، وسبحان الله الرحيم المعطي.

٧١- المصابيح والسماء الدنيا:

أثبت العلماء في عصرنا أن الغلاف الجوي وهو التابع للسماء الدنيا يحتوي طبقات متأينة تجعل النجوم مضيئة متوهجة كالمصابيح، ولكن من يعبر طبقة الغلاف الجوي إلى أعلى يرى الكون مظلمًا والنجوم تبدو حمراء ملتهبة ليس لها النور الأبيض المتوهج الذي نراه بأعيننا، مما يثبت أن الغلاف الجوي جعله الله تعالى لإظهار النجوم في السماء الدنيا زينة كالمصابيح يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ (الملك: ٥) كذلك ثبت علميًا وجود أنواع مختلفة من الكائنات في الأرض تحت الثرى كالفطريات، وبعض أنواع القواقع، والديدان، والعقارب، والثعابين، وغيرها، وتحت الثرى هناك آبار المياه وآبار البترول ومختلف المعادن، وغيرها، من مختلف النعم يقول تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ (طه: ٦).

كذلك من الإشارات القرآنية المعجزة قوله تعالى: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ﴾ (الحشر: ١٤).

ونجد أن اليهود منذ عهد النبي ﷺ كانوا يتحصنون في الحصون ويتضح ذلك في غزوة خيبر وغيرها حيث كانوا يهدمون المنازل قبل جلائهم، وفي

عصرنا الحالي يشهد المؤرخون أنهم برعوا في تصميم الملاجئ، والخنادق، والدشم، والحصون، وفي حرب أكتوبر تحصنوا بخط بارليف والآن يقومون ببناء الجدار الواقي بارتفاع ثمانية أمتار مزود بآلات تصوير للمراقبة، وبه خنادق عميقة، وبه حواجز من الأسلاك الشائكة، وقد يصل هذا الجدار إلى ألف كيلو متر، كذلك أشار سبحانه إلى أضرار الخمر والميسر حيث إن الخمر يُذهب العقل، والميسر يُذهب العقل بسبب الخسارة الكبيرة فتنتشر العداوة والبغضاء بين الناس، إنه القرآن المعجز في كل عصر.

فعلى كل مسلم أن يعتز بدينه وأن يثق في وعد ربه، وأن يكون سخيًا كريمًا لأن ربه كريم، لقد تصدق عثمان بن عفان بسبعمائة بعير كانت قادمة له من مصر لفقراء المدينة أثناء محنة القحط التي عاصروها ورفض مساومات التجار، حيث زادوه الدرهم بدرهمين، فقال: زادني غيركم، فزادوه الدرهم بثلاثة فقال: زادني غيركم حتى قالوا لا نرى تجارًا غيرنا بالمدينة فمن زادك؟ فقال: زادني ربي الدرهم بعشرة، وعلى المسلم أن يكون قويًا يملك نفسه عند الغضب، عزيزًا لا يزل نفسه في موقع، لا يهن ولا يحزن، ويصبر عند البلاء، لقد كان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وحده أمة، حيث صبر في مواقف كثيرة عند تركه لأهله في صحراء قاحلة ثقة في وعد ربه وعندما همَّ بذبح ولده طاعة لربه، وعندما أُلقي في النار لأنه يدعو إلى عبادة الله وحده، وغير ذلك الكثير من المواقف التي يجب أن يتعلم منها المسلم **فالله تعالى يصطفي** الصابرين العابدين الرحماء، حيث يدفعون بالتي هي أحسن، شيمتهم صلة من قطعهم وإعطاء من حرمهم، والعفو عمن جهل عليهم، يفرحون بفضل الله وبرحمته، والوعد برؤيته، والتنعم في جنته، وليست فرحتهم بشهوات الدنيا الزائلة، هم راضون بما قسمه الله لهم لأنهم يعلمون أن الله هو المانع والمعطي، هم يوقِّرون الكبير، ويرحمون الصغير، لقد أمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتعليم

الطفل الصلاة عند عمر سبع سنين، والضرب عليها عند عمر عشر سنين، وهذا من رحمته التي ألهمه الله بها، حيث اكتشف العلماء أن إدراك الطفل قبلها لم يكتمل بالصورة التي تجعله أكثر تمييزًا وعقلًا، وهم عن اللغو معرضون، وهم من عذاب ربهم مشفقون، فعلينا بالتوبة وفعل الخير، فالأعمال بالخواتيم، ومن شهد له أربعة من جيرانه الأدنين، يقول الله: قبلت شهادتكم فيه وغفرت له ما لا تعلمون، فاللهم اجعلنا من أهل الجنة، واختمها لنا بالأيمان فإن يوم القيامة يوم عصيب، فيه تدنو الشمس من الرؤوس، ومن الناس من يكون عرقه إلى ركبتيه، ومنهم من يكون العرق إلى كتفيه، ومنهم من يُلجمه العرق إلجامًا، يُحشر الجميع عرايا، يتمنى الناس أن ينتهوا من هول الموقف وينفضوا ولو إلى النار، من الناس من يأخذ كتابه بيمينه، ومنهم من يأخذه بشماله، يود المجرم أن يفتدي من العذاب ببنيه، وصاحبته وأخيه، وفصيلته التي تؤويه، ومن في الأرض جميعًا وينجو من العذاب.

إن المحن القادمة على الإنسان شديدة، عليه أن يستعد لها؛ سكرات الموت، وظلمة القبر وضمته، ويوم القيامة حين تزلزل الأرض وتُخرج أثقالها، وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات، فعلينا أن نتوب إلى الله تعالى ونصلح قبل أن يأخذنا الله تعالى بالسنين والقحط، إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين دعى على قومه ابتلاهم الله بالجدب والقحط وأرسل عليهم الجراد الذي أتلف مزارعهم، والقمل بأنواعه التي تصيب الماشية، والتي تصيبهم بالأمراض الوبائية المختلفة، ومنه أنواع كالسوس وغيره، كانت تأكل الحبوب وتتلفها، وأما الضفادع فقد تكاثرت وأفسدت المياه، واكتشف العلماء في عصرنا أنواعًا من الضفادع السامة تقتل من يلمسها على الفور، ومنها أنواع تصيب من يلمسها بالشلل، حيث إن الضفادع تتنفس عن طريق الجلد، وتدافع عن نفسها بإفراز

المواد السامة على جلدها، وهناك ما يقرب من ٢٥٠٠ نوع من الضفادع يتفاوت ضررها باختلاف أنواعها، إنها الإعجازات في كل المجالات بأمر خالق الكون يأذن بها حين يأتي ميعاد إظهارها للعباد. وحين تقدمت علوم الحاسبات والكمبيوتر في عصرنا ظهر الإعجاز الرياضي[١]. إن أقرب مسافة تقترب منها الشمس للأرض في دورتها هي ٩١ ألف مليون ميل وسورة الشمس هي السورة رقم ٩١، وسورة النحل من الآية٢ حتى الآية ١٨ يخبرنا الله فيها عن نعمه التي أنعم بها على الإنسان والمجموع ١٧ آية وفي الآية رقم ١٨ قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ (إبراهيم: ٣٤). ونجد أن سورة النحل هي رقم ١٨ بالمصحف. والذي يقوم بالتجربة لو أحضر خيطًا أبيض وآخر أسود لا يستطيع أن يميزها قبل أذان الفجر، وعندما يؤذن الفجر يصل أول إشعاع من الشمس، والذي به يتمكن الإنسان أن يميز الخيط الأبيض من الأسود، وقد أخبرنا الله تعالى عن تلك الحقيقة في قوله سبحانه: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ (البقرة: ١٨٧).

٧٢- وحي الله وتكوير الكون:

لقد أوحى الله تعالى إلى بعض خلقه، فلقد أوحى إلى الأنبياء وأوحى إلى أم موسى، وأوحى إلى النحل، ووحي الله لا يأتي إلا بالخير، وتتجلى فيه العظمة والإبداع، ومن يتأمل خلية النحل يجد الكثير من صور هذا الإبداع، فهناك فريق يقوم بترتيب الخلية، وفريق من الشغالات يجمع الصمغ من الأشجار ليسد الشقوق، ويحيط

(١) «معجزة القرآن الرياضية» - دكتور عبد الله البلتاجي، وله مؤلفات كثيرة عن الإعجاز العددي في القرآن الكريم.

بالحشرات المهاجمة حتى لا تتعفن، وهناك فريق يقوم بتهوية الخلية في الصيف وذلك بتحريك أجنحته، وآخر ينضم إلى بعضه البعض لتدفئة الخلية في الشتاء، والنحل يعيش في جماعات، ومن ينعزل عن الجماعة يموت، ولقد وجه الله تعالى الخطاب للمفردة من إناث النحل ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى﴾ ووجد العلماء أن الشغالة بالفعل هي التي تقوم ببناء الخلية وصيانتها وحراستها ونظافتها وترميمها وتكييفها وتهويتها، والنحل لا يلوث الخلية أو يُهمل فيها بل يعمل دائمًا على ترتيبها ونظافتها، ولابد أن يكون ذلك فلقد جعل الله من العسل شفاءً للناس[(١)].

ولقد أمر سبحانه السماوات والأرض أن تقوم بإذنه فكانت على أحسن ما يكون، حيث قامت بغير عمد نراها، وحين زعم الماديون أن الكون لا نهائي بلا بداية أو نهاية فهو أزلي غير مخلوق لينكروا وجود الخالق، أثبتت الاكتشافات العلمية الحديثة أن الكون مكور على بعضه كالكرة، فهو محدود الحجم كالكرة لمن ينظر إليه من بعيد لكن من يعيش بداخله يظن أنه لا توجد له بداية أو نهاية، ولقد اكتشف العلماء كروية السماوات والأرض.

وليست الأرض فقط كما يظن البعض، تلك الحقيقة ذكرها النبي ﷺ منذ ألف وأربعمائة عام، حيث روى الإمام أحمد عن زيد بن أسلم قال: «ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كُنَّ حلقة مبهمة ونزلت عليها لا إله إلا الله لقسمتها». وفي حديث آخر يشير إلى أن السماوات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقة في فلاة، أي صحراء، ونلاحظ التعبير بالحلقة تعبير عن الكروية، لقد

(١) «العسل والشفاء» - «موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» للدكتور أحمد شوقي إبراهيم الحديث عن حياة النحل.

شبه أحد علماء الغرب، هذا النظام الكوني بالكتب المختلفة المتراصة بلغات مختلفة، وشبه الإنسان كطفل ينظر ويتأمل كيف ألَّفها المؤلف، وكيف رتب كلماتها وصاغها بتلك اللغات التي لا يعلم عنها شيء وإذا كان الإنسان لم يستطع أن يفهم كل أسرار الكون المخلوق فما بالنا بالخالق ربِّ هذا الكون.

ولقد أوحى إلينا بشريعة الخير، فعلينا أن نقيم تلك الشريعة على أحسن وجه حتى نفوز فلقد أمرنا بالطاعة وفعل الخير والإحسان إلى الغير، وعدم اليأس من رحمته حيث إن الله تعالى في كل نفس مائة ألف فرج قريب، وقد أمر الإنسان أن يفكر بقدر حدود عقله ولا يسأل عن أشياء فوق طاقته لأن عقله محدود ولا يمكن أن يحيط بكل العوالم، ويكفي أن نعرف أن أقدم أثر عن عالم النحل في صخور القشرة الأرضية يرجع إلى أكثر من مائة وخمسين مليونًا من السنين.

فيجب على كل مسلم أن يطبق ما شرع الله به ليفوز في الدنيا والآخرة، لقد عاهد النبي ﷺ الصحابة على السمع والطاعة، وعلى العزة فلا يسألوا الناس شيئًا، وعلى كلمة الحق فلا يخشى أحدهم في الله لومة لائم وعلى النصح لكل مسلم فهم قدوة لنا، ومن يسير في طريق الله يجد النور في كل مكان، وما دون الله مخلوقات له، لا يملكون من قطمير، فالفضل كله لله.

ولقد رأينا أن رسالة الله تعالى هي الرسالة المعجزة في كل زمان، حتى لقد كان في عتاب الله لرسوله ﷺ حين جاءه الأعمى، وفي مسألة أسرى بدر دليل آخر على أنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، حيث إنه لا ينكر آية فيها العتاب له، وهذا هو إثبات من الله ودليل ليدرك به العقلاء أن النبي ﷺ كان لا ينطق عن الهوى، بل هو الوحي من السماء، وعلينا أن نُخلص في العبادة، حيث خلقنا الله لعبادته،

فهو الغني عن خلقه، ويكفي أن من يقوم الليل ويناجي ربه يلبسه من نوره في الدنيا والآخرة، **واعلم أخي المسلم** أن عدوك الشيطان يعقد عليك قبل نومك ثلاث عقد، فإذا استيقظت انحلت عقدة، وإن توضأت انحلت الثانية، وإن صليت انحلت الثالثة، فتصبح نشيطًا طيب النفس، هناك شيطان موكل لكل من بدأ يسير في طريق الهدى، يأتي الشاب ليضله ويوسوس له بكل ما يبعده عن طريق الإيمان، ومن تمسك بطريق الله ينصره الله، هناك شيطان يوسوس لك في الصلاة حيث يعلم أنه ليس للإنسان من صلاته إلا ما عقل منها، فاحذر عدوك.

يقول ﷺ: «**والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**»، فتحلى بالصبر والإتقان والثقة بوعد الله في كل الأمور ولا تيأس من روح الله لتنجو بثباتك، ويقينك، ورحمة ربك، واعلم أن المعوذتين ما تعوز متعوذ بمثلهما، لقد أخبرنا ﷺ أنه: «**لو كان شيء يسبق القدر لكانت العين**»، واحذر الفراغ فشر الناس المكفي الفارغ ليس في عمل دنيا أو آخرة، واعلم أن الله تعالى لم يكن يجمع أمة الإسلام على ضلالة فكن مع الجماعة، فمن شذَّ شذَّ في النار.

واعلم أن أمة الإسلام تخرج من الأزمات أشد صلابة، ولنا مثل في حروب المرتدين، والحروب الصليبية، وقهر التتار وغير ذلك الكثير من الانتصارات في كل زمان، واعلم أخي المسلم أن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، وأن الرحمة تشمل ما حولك من الكائنات لقد صلى النبي ﷺ يومًا صلاة الكسوف، حيث كُسفت الشمس في ذلك اليوم، ولقد تأخر في صلاته إلى الخلف وتأخرت الصفوف معه، ثم تقدم مرة أخرى وحين سأله الصحابة عن سر ذلك حيث إنه أطال في الصلاة ولم ينته منها حتى طلعت الشمس قال: «**إنه ليس من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه، ولقد جيء**

بالنار فذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها، حتى قلت: أي رب وأنا فيهم، ورأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار كان يسرق الحاج بمحجنه، فإن فطن به قال: إنما تعلق بمحجني، وإن غفل عنه ذهب به، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت جوعًا، وجيء بالجنة، فذلك حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي فمددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لي أن لا أفعل»(١).

ولقد روى هذا الحديث أيضًا الإمام مالك عن ابن عباس وفيه قول الرسول ﷺ: «**ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرًا قط، ورأيت أكثر أهلها النساء**» قالوا: لم يا رسول الله؟ قال: «**لكفرهن**» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «**ويكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهنَّ الدهر كله ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط**»(٢).

وفي حديث آخر رواه أحمد عن أسماء بنت أبي بكر وزاد فيه «**وقد أريتكم تفتنون في قبوركم يسأل أحدكم ما كنت تقول، وما كنت تعبد فإن قال: لا أدري رأيت الناس يقولون شيئًا فقلته، ويصنعون شيئًا فصنعته، قيل له: أجل على الشك عشت وعليه مت هذا مقعدك من النار، وإن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله قيل: على اليقين عشت وعليه مت هذا مقعدك من الجنة**»(٣).

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد عن جابر بن عبد الله رقم [١٣٨٩٧].

(٢) جزء من الحديث عن الإمام مالك رقم [٣٩٩] في كتاب «النداء على الصلاة».

(٣) جزء من الحديث الذي رواه أحمد عن أسماء بنت أبي بكر رقم [٢٥٧٥٢].

obeikandi.com

وكما أشرنا سابقًا أن النبي ﷺ رأى في رحلة الإسراء والمعراج أيضًا جزاء المتكاسل عن الصلاة حيث تُرضخ رأسه بالحجارة، وجزاء الزناة حيث يرفعهم لفح النار ويخفضهم، وغير ذلك من المشاهد التي تثبت لنا أن وعد الله حق فالتأمل والفطرة إثبات للكثير من الإعجازات، وكذلك الاكتشافات العلمية، ونبوءات الرسول ﷺ، وما يشهده البشر من مشاهد للعبرة والتذكرة كأقراص العسل، وسعف النخل حيث يقرأ المتأمل بوضوح كلمة التوحيد، وثبوت عالم الملائكة، وعالم الجن، وتحقق رؤيا المؤمن، وتحذير الله تعالى للعصاة بالمواقف والتبليغ والرؤى.

ولقد أقسمت لي إحدى النساء أن معاملتها لزوجها المصلي كانت لا تُرضي الله، وكانت تمنع الماعون عن الناس، فرأت من يأمرها بالإحسان إلى الزوج والانتهاء عن تلك الخصلة، ولقد سمع سارية قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر: يا سارية الجبل أي اجعل الجبل من خلفك وأنت تقاتل العدو، وهناك كرامات الصالحين وغير ذلك من آيات الله التي يُرِيها لعباده في كل حين، فالحمد لله أنه يرينا آياته فنعرفها، والحمد لله أن لنا ربًا هدانا للإيمان وإلى طريق الهدى، وإلى طريق القرآن المليء بالإعجازات، والذي يدعو إلى الرحمة ولقد قتل الصليبيون سبعين ألفًا في ساحة المسجد الأقصى وقتلوا كل من لجأ إلى الأزقة والمساجد والأماكن المقدسة، وحين تمكن منهم صلاح الدين، ذكَّرهم بما فعل آباؤهم فظنوا هلاكهم، وأدركوا ما سيفعله بهم ولكنه عفا عنهم كما فعل رسول الله ﷺ بالمشركين يوم فتح مكة.

فعلينا بتطبيق منهج الله، والثقة بالله كما وثق موسى عليه السلام حين قال أصحابه إنا لمدركون، والتواضع لله، ألا يخشى من يتكبر أن يأخذ كتابه بشماله فيدعو بالثبور والهلاك. إن الله يستجيب دعاء عباده في أي وقت ويسمح بالوقوف بين يديه في أي

وقت ولا ينهي المقابلة قبل أن تنتهي من صلاتك رغم أنه هو الملك العلي الكبير فسبحانه...

واعلم أخي المسلم أننا جميعًا قبل دخول الجنة لابد أن نعبر الصراط، فهو أرق من الشعرة، وأحد من السيف، والنار أسفلنا تتأجج وتفور، والمكان مظلم، وكل إنسان يأخذ نورًا بقدر عمله ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الحديد: ١٢).

وأما المنافقون يقولون ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ (الحديد: ١٣)، إنها محنة صعبة، يخبرنا النبي ﷺ أن هناك ناجيًا سليمًا، وناجيًا مخدوشًا، ومن يقع في النار، حيث إنه على الصراط كلاليب تخطف المقصر في حق الله، والظالم للعباد، فعلينا بفعل الخير وعداوة الشيطان، والإيمان بأن الخالق هو الرازق، وهو المجيب حتى ننال حب الله، لقد دعى ﷺ لأبي هريرة وأمه أن يحببهم الناس فلا يسمع بأبي هريرة أو أمه أحد إلا أحبهم، ..هناك من رأت أنوارًا كأنها الملائكة، وشعرت كأنها طافت بالكعبة وهي على سطح منزلها، وهي من النساء الصالحات، ولقد دعى أمين السماء جبريل عليه السلام بالخيبة والخسران وأمَّن أمين الأرض رسولنا محمد ﷺ على كل من أدرك رمضان ولم يُغفر له، أو أدرك والديه ولم يُغفر له أو ذُكر اسم النبي ﷺ ولم يُصَلِّ عليه.

لقد دعى ثلاثًا وأمَّن النبي ﷺ فلنحذر من الغفلة في رمضان وغيره، ولنحذر من عقوق الوالدين، وعدم الصلاة على النبي ﷺ... إن الدين الإسلامي هو رسالة الخير والأمن في كل زمان، فكل ما نهى عنه كان في صالح العباد، وكل ما أمر به كان خيرًا للعباد، وهو الرسالة الزاخرة بالمعجزات، ففي المجال الطبي رصد العلماء سبعة وثمانين ألف نوع من الذباب يتغذى على النفايات والمواد العضوية

المتعفنة، ولقد خلق الله تعالى لكل نوع من البكتريا والفيروسات والجراثيم ما هو ضده، كذلك الذباب، يحمل الجراثيم والبكتريا على أحد أجنحته ومضادات هذه الجراثيم والبكتريا على الجناح الآخر.

وقد أجرى العلماء فحصًا مجهريًا لسائل غمس فيه الذباب بعد وقوعه، وآخر لم يغمس، ولاحظوا حركة الجراثيم في السائل الذي لم يُغمس فيه الذباب وخلو الآخر من الجراثيم...

لقد عالج الإسلام كل مشكلات المجتمع، **عالج السلبية** حيث قال ذو القرنين: ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة، وعالج المسكرات **وعالج البخل**، وجاء بمثل أصحاب الجنة الذين بخلوا فأصبحوا وقد وجدوا حديقتهم محترقة كالصريم، **وعالج الكذب** حتى تظل الثقة بين الناس، **وعالج الاكتئاب** حيث إن كل شيء بأمر الله ولا ضرر ولا نفع إلا بإذنه سبحانه، وأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وأمر بالزكاة والعطف على الفقراء، فعلينا بالتمسك بالإسلام ومحاسبة النفس فلقد خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، هناك سكرات الموت، وضمة القبر، والوقوف ليوم الحساب، وعبور الصراط، وغير ذلك فلابد من الاستعداد لتلك المحن، إن ضربة بألف سيف أهون على العبد من سكرات الموت، ولكنها تهون على المؤمن الصادق العارف بربه والمتوكل عليه، والذي يُحسن الظن به، لكن الحساب يثقل على قوم لم يحاسبوا أنفسهم في الدنيا، فعلى كل إنسان أن يحاسب نفسه، ويدرس العلم ليزداد إيمانه وينفع غيره ويدعو على بصيرة، لقد أخبرنا ﷺ بقوله: «**إذا اشتهى مريض أحدكم شيئًا فليطعمه**».

وقد اكتشف العلماء في عصرنا أن جسم الإنسان إذا احتاج شيئًا من العناصر يصدر إشارات وميول فطرية لتناول الأطعمة التي تحتوي العناصر اللازمة، وقد نشر بحث في عام ١٩٣٢م بعنوان حكمة الجسد للعالم الغربي «وولتر بكانون» عن هذا الموضوع وقد كان السبق للإعجاز النبوي منذ ألف وأربعمائة عام، فعلينا بالثقة واليقين بالله وصلة الرحم والصلاة على النبي ﷺ الذي تنقل بين الأصلاب الطاهرة، والعبادة الخالصة لله في كل حال، في الصحة والمرض، وفي الغنى والفقر؛ لأن الجميع في ابتلاء واختبار واعلم أن الدعاء مخُّ العبادة، لقد دعى ﷺ في غزوة بدر حتى سقطت جُبَّته، وعليك بالاستغفار حتى ينزل الله عليك الخير كله، لقد رزق الله تعالى مريم ابنة عمران في محرابها، وأنزل مائدة من السماء لحواري عيسى عليه السلام.. إن المؤمن يكفيه أن معه الله الخالق، معه كتاب يتحدى به العالم.

إن شفاء العالم كله وقوته ونجاته لن تكون إلا إذا لجأ الجميع إلى هذا الكتاب، يكفي أن فيه النجاة من النار والزمهرير، وعليك أن تسأل نفسك كم يستحق الله من الشكر وقد جعلك مسلمًا، وكم يستحق من الشكر وقد وعدك بالنظر إلى وجهه الكريم، وكم يستحق من الشكر حين يعينك على عبور الصراط ومن أسفلك النار وهي تفور... إن الله تعالى يحب لنا الجنة، وسيخرج من النار يوم القيامة من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، كم يستحق الشكر على نعمه الكثيرة علينا، كم يستحق من الشكر على شربه الماء في يوم شديد الحرارة لذلك لابد من الاختبار، كان في حادث الإسراء والمعراج، وتحويل القبلة، وغير ذلك من الأحداث، بالخوف، والجوع، ونقص الأموال، والأنفس، والثمرات، هي اختبارات لمعرفة صدق الإيمان.

والفائز من يصبر وينجح في هذا الاختبار. إن أحباب النبي ﷺ قوم آمنوا به ولم يروه، فعلى كل راعٍ أن يأمر أهله بما أمر به الله ورسوله من الصلاة والخشوع فيها، والصدقة، وإنكار المنكر، وأعمال البر، والتزام الزى الإسلامي حتى لا يطردنا النبي ﷺ عن حوضه يوم القيامة، ذكِّر أهلك بالصراط الذي لابد من عبوره قبل دخول الجنة، حيث إن مسافته لا يعلمها إلا الله، ومن أسفلنا ستكون النار المتأججة.

فهل المتبرجة ستعبر هذا الصراط الدقيق كالبرق؟ وهل المتكبر، وهل الظالم للناس وهل العاق لوالديه سيعبر كالبرق أم تزلَّ قدمُه وتخطفه الكلاليب إلى النار المتأججة والتي يسمع الجميع شهيقها وهي تفور، والتي تكاد تميز من الغيظ، وهي السوداء الحالكة والتي رغم شدتها فالمنافقين في الدرك الأسفل منها، ويسبح العصاة في دركاتها فهل نفيق من غفلتنا؟ إن التفكير في محنة الصراط فقط كافية لأن ينسى الإنسان التفكير في كل أمور الدنيا، حين سألت السيدة عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ: «هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟» أخبرها: «**إلا في ثلاث مواضع عند عبور الصراط، وعند تطاير الصحف وعند الميزان**» فعلينا بلين الكلام...

أمر سبحانه موسى عليه السلام أن يقول لفرعون قولًا لينًا لعله يتذكر ويخشى رغم أنه اغتر بنفسه فقال: أنا ربكم الأعلى، فالمؤمن ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء...

اجعل أخي المسلم حياتك كلها لله صلاتك ونسكك، ومحياك ومماتك، ولا تلتفت في صلاتك إلى أمور الدنيا، فإذا التفت العبد التفت عنه ربه، حيث ينصب الله وجهه تجاه عبده إذا صلى. وعليك بالصدقة، والصوم الذي يشمل الجوارح، فمن خُتم

له بصوم خالص دخل الجنة ومن ختم له بصدقة خالصة دخل الجنة، فعلينا بالإخلاص لله والدعاء، إن من لا ترد دعوتهم كما أخبرنا ﷺ: «**الصائم حتى يفطر، والمظلوم حتى ينتصر، والمسافر حتى يرجع، والإمام العادل**» وعلينا بأخذ الدين بقوة، والثقة في مالك الملك، وتربية الأولاد على الصدق، والقوة في الدين، ومحبة الله ورسوله، والشجاعة كما كان يفعل السلف الصالح في تربية أبنائهم، ويجب أن نستقبل الخير بقلوبنا، ففي الماضي كان هلال رمضان تترقبه جميع طوائف الشعب، بمجرد ظهوره كان يلتزم الجميع بفعل الخير، والعطف على الفقراء، وقراءة القرآن، وقراءة «صحيح البخاري» في الجامع الأزهر، وكان السلطان برقوق يذبح كل يوم من أيام رمضان ٢٥ بقرة يتصدق بلحومها على الفقراء، والمساكين وكان يفطر جموعًا غفيرة من الصائمين، ويأمر بتوزيع الصدقة عليهم، وقد اعتاد سلاطين المماليك أن يعتق الواحد منهم في شهر رمضان ثلاثين عبدًا أي: بعدد أيام الشهر.

وعلى كل مسلم أن يُدرك نعمة الله عليه حيث لم يشدد الله علينا في شيء، ولكن شدد على بني إسرائيل لتكذيبهم، فحرم عليهم كل ذي ظفر من الأنعام، والطير، وغيرها، وكانوا يقصون مكان النجاسة، ويقتلون أنفسهم عند التوبة، لقد أضلهم الشيطان، فعلينا بالاستعاذة منه، ومخالفته واتخاذه عدوًا، لقد ضرب الله مثلًا للمؤمنين في التوراة أنهم «ركعًا سجدًا»، وفى الإنجيل أنهم «كزرع أخرج شطأه» هو مثل روحي في التوراة لليهود عن الركوع والسجود لأنهم ماديون، ومثل مادي بالزرع للنصارى لأنهم تغالوا في الروحية.

وحين سُئل عيسى عليه السلام في مسألة المواريث؛ قال: إني لم أُبعث مورثًا، ولكن القرآن الكريم جاء شاملًا لكل جوانب الكون والحياة الدنيا والآخرة، وجاء بكل مثل

ليظل دستورًا إلى يوم القيامة، فمن ابتغى القوة في غيره قصمه الله، ومن تمسك به هُدي إلى صراط مستقيم فالحمد لله على نعمة الإسلام، ونعمة البعث بعد أن صرنا عظامًا نخرة، والوعد بالخلود في الجنة بعد أن كنا ترابًا لا ذكر لنا، ورغم أننا عباد فقراء خلقنا سبحانه من الماء المهين فلا منة لنا على ربنا، ورغم ذلك نعصيه ويغفر لنا فهو الحنان المنان، وهو الملك، وهو الوارث، وهو الباعث، وهو الرشيد الصبور سبحانه، فعلينا بالنصح للمسلمين والأهل لأن كل راعٍ مسئول عن رعيته...

جاء في كتاب «أماه عودي إلينا» وهو دعوة لصيانة المرأة في بيتها، ما نصه: ما الذي زاد عليها بسبب العمل غير الجرأة وذهاب الحياء، وضياع الأولاد، ما الذي زاد عليها سوى كثرة الخلافات مع الزوج والتفريط في حق دينها، أتدرون ما الفرق بين أولاد المرأة العاملة وأولاد المصونة في البيت؟! إن أولاد الأولى فيهم القسوة والجرأة وانعدام الحياء، وأولاد الثانية تبدو عليهم أمارات الأدب والحياء.

إن هول العذاب شديد يوم القيامة، فما أشد عذاب النار، وما أصبر العصاة على الزمهرير، وما أصعب لحظة عبور الصراط والنار تفور من أسفلنا، فماذا تظنون بمصير من تكبر، وعق والديه، وترك الصلاة، وأي فرحة وأي وصف لسعادة من نجا ولا مفر من الحساب، حيث قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ فلابد أن يتحقق وعد الله، وكما أشرنا سابقًا أن كل آيات الله تتحقق؛ لذلك فوعد الله لا محالة واقع، وما يتمناه الإنسان في الدنيا من أماني وأحلام لينال السعادة لن يجدها إلا في التمسك بهذا الكتاب الكريم، ليس عليك شيء إلا أن تدعو ربك بيقين ولا تستعجل الإجابة، وتتحرى الحلال، فمع الدعاء رزق سبحانه مريم ابنة عمران في محرابها بغير حساب، ومنح الولد لزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجعل مع التقوى بركات من السماء والأرض فعلينا كما نصحنا

رسولنا ﷺ بالتوبة قبل المهمات والمبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن نشغل ونصل ما بيننا وبين الله بكثرة الذكر والصدقة في السر والعلانية، فيكون الثواب كما وعد ﷺ تُرزقوا، وتنصروا، وتجبروا، فعلينا بتنفيذ تلك الوصايا.

يخبرنا ﷺ أن لحم وجه العبد يتساقط يوم القيامة خجلًا حين يسأله عن تنفيذ تلك الوصايا، لقد أخبرنا أن إلقاء السلام على الأهل عند دخول المنزل والتسمية على الطعام تجعل إبليس يخبر أتباعه، أن لا مبيت لكم ولا عشاء، لقد أوصانا برحمة الناس، ورعاية الجار وقد أشرنا إلى صندوق الفقراء الذي يشارك فيه أهل الحي، حيث أقسم ﷺ أنه لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع، ويمتد ذلك إلى أخيك المسلم الذي يجاهد الأعداء في أقصى البلاد فلا تَنسَ الوقوف بجانبه، ولا تنسَ المقاطعة، ولا تنسَ أن الدعاء سلاح المؤمن.

لقد أوصى ﷺ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمر بترك الجدال ولو كنت محقًا لتنال قصرًا في الجنة، وأمر بلزوم المرأة لبيتها صيانة لها ولأولادها وأمر بالزهد، فكلنا سيفارق الدنيا ونعيمها الزائل إلى الآخرة الباقية، فكن بيقينك واثقًا من لقاء ربك ووعده لتكون أغنى الناس لا يضرك إذا لم تملك شيئًا من حطام الدنيا الذي يزول.

لقد خلق الله سبحانه آدم عليه السلام بيديه وليس بالأمر كن، وهو دليل العناية من الله بهذا المخلوق الذي أسجد له ملائكته، وجعل فطرته السليمة تهتدي إلى الخير قبل أن يُشرع له، ولنا مثل في عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث كان ينزل القرآن وفق ما يتمنى، إنه عهد الذر ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ إن الله تعالى حكمة في كل شيء، لقد نزل القرآن منجمًا تثبيتًا لقلب النبي ﷺ والصحابة، ولكي يكون مناسبًا مع الموقف

وزمنه، ومراعاة لعقول الناس حتى يسهل الاستيعاب، وليكون نظامًا لتلقي العلم حيث يُراعى مستوى الطالب الذهني فيعطى على قدر طاقته، وكذلك لتيسير جمعه وسهولة حفظه فعلينا بطلب العلم فهو مؤنس الوحشة، والصاحب في الغربة، وهو السلاح على الأعداء، به يُعرف الحلال والحرام، وبه توصل الأرحام، وبه يوحد الله ويعبد، وهو ميراث النبوة، وبه يبلغ صاحبه مرافقة الأبرار والدرجات العلى في الآخرة، والعلم يضيء القلب **ويحلو كلما كررته** حيث تتضح المعاني الغائبة بالتأمل، لذلك كلما طلبت العلم حصلت على الكثير من عطاءاته بفضل الله، ولله قوم بحفظ الدين قد قاموا، وبالعلوم ونشر الفضل قد هاموا...

يقول شجاع بن الوليد: صحبت سفيان الثوري ذات يوم فما فتر لسانه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذهابًا وإيابًا... لقد أفلح من دعي إلى الله وتحدث بنعمه، خلق سبحانه اللسان والشفتين، ولولا ذلك لما تحدث الإنسان أو نطق بالحروف، ولولا الأذن ما سمع الإنسان، وما عرف أسماء الأشياء، حيث ينطق الإنسان بما يسمع، فسبحان الذي خلق ما ينفع، وأمر بما فيه الخير، حين خالف الصحابة أو أمر الرسول ﷺ وأرادوا الدنيا وجمع الغنائم كان تمكن الأعداء منهم وكُسرت رباعية النبي ﷺ وشيع أن النبي ﷺ قد قُتل، فالمخالفة معناها الذل، والهلاك... إن كل هذه النتائج كانت لخطأ أو مخالفة واحدة فما بالنا بمن يخالف كتاب الله وسنة النبي ﷺ في نواحي متعددة، إنها النتيجة الحتمية، تداعي الأمم علينا من كل صوب لتدمير عدة المسلمين وهويتهم ومبادئهم، وفي حُنَين عندما أُعجب المسلمون بكثرتهم، أوشكت الهزيمة أن تحل بهم لولا رحمة الله، فليحذر الإنسان أن ينسى ربه ولو لحظة، ربما كانت هي الخاتمة، والأعمال بالخواتيم، **حين تكبر فرعون** كان

هلاكه بسبب هذا الكبر، وحين بخل أصحاب البستان على الفقراء أصبحوا وقد حُرق بأمر الله، وهلك قوم لوط، وقوم صالح، وقوم هود، وثمود؛ لأنهم خالفوا أوامر الله وعصوا الرسل وأصروا على فسادهم...

حين أوصى النبي ﷺ بعدم الصخب والشجار في رمضان كان التفسير العلمي هو إفراز هرمون الأدرنالين بكثرة، وهو يضيق الأوعية الدموية الطرفية ويعمل على اتساع الشرايين التاجية فتزداد عدد ضربات القلب، ويرتفع ضغط الدم وتتحلل نسبة من الجليكوجين في الكبد، وتتأكسد الدهون، وترتفع نسبة الكولسترول في الدم، مما يسبب تصلب الشرايين، وكانت وصيته ﷺ للصائم بأن لا يرفث ولا يصخب وإن سابه أو قاتله أحد فليقل إني صائم، ولقد أخبرنا ﷺ أن في رمضان يزيد رزق المؤمن، وبالفعل نجد ذلك في رمضان، إنها رسالة المعجزات ويكفي إعجاز القرآن الكريم أنه إذا قُرئ بتدبر ومعرفة عبر القلوب، لذلك فهناك مثلًا خمسة عشر أوكرانيًا أعلنوا إسلامهم حين استمعوا إلى الشيخ الخشت لخشوعه وجمال صوته.

إن من نذر نفسه لله وفقه الله لكل خير، إن الحجر يلين له، وربما أخرج اللبن والعسل، لقد أخرج الله تعالى لصالح عليه السلام الناقة دمًا ولحمًا تدر لبنًا من الصخرة الصماء، **ولقد أمر** ﷺ بعدم النفخ في الإناء لأنه وسيلة لنقل العدوى حيث هناك البكتريا بالفم، والتي تخرج مع النفخ أو النفس في الإناء وأخبرنا ﷺ بأن قيعان البحر مسجرة بالنيران وهي بالفعل كذلك، وأخبرنا ﷺ بأن في الصوم صحة للإنسان ولقد أثبت العلم الحديث أنه يقي من أخطار السموم ويهدئ من الغريزة الجنسية، وهو يساهم في عدم تكوين حصيات الكلية وإذابة بعض الأملاح، ويساهم في علاج مرض السكر، وضغط الدم، ويقي جهاز المناعة حيث تزداد

الأجسام، المضادة في الجسم، وتنشط الردود المناعية نتيجة لزيادة البروتين الدهني منخفض الكثافة، إنه الدين الحق والخير، لقد أعد الله تعالى لأهل الجنة الكثير من الخير، ومنه نظره سبحانه إليهم، وأنه لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين، ورضوان الله تعالى عليهم أكبر، حيث يُديم عليهم هذا النعيم، ويكفي أن الله تعالى يتولى الصالحين يوصينا ﷺ أن يكون زادنا من الدنيا كزاد الراكب ولابد أن ندرك أن الصدقة برهان الإيمان، وأن صلة الرحم تجعل الله تعالى يتقبل العمل، ويبسط الرزق، ويبارك في العمر.

وعلينا أن ندرك أننا في اختبار، وأن علينا واجبات كالعمل، والدعوة إلى الله، والتربية الصالحة، ونصرة المسلمين، وإطعام الفقير، وغير ذلك، وهناك الأعداء في الخارج حيث يتربصون لتنصير المسلمين، ووقف الإغاثة في المحن الاقتصادية، والمناداة بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل، ونشر الفرق المختلفة، والسيطرة على الإعلام، وهناك إبليس حيث ترتفع حوادث قتل الأبناء، وقتل الآباء، والزنا، والمقاهي، والفساد، حتى في ليل رمضان، وربما نهاره رغم أن مردة الشياطين تتسلسل، فعلينا أن نتخذه عدوًا، ونأخذ الكتاب بقوة، ونحمد الله أن ربنا الله جعلنا مسلمين، وهدانا للإيمان والعلم واليقين بأعلى معرفة وأصدق حديث.

لقد قام الإسلام على أسس الخير كلها فهو يقوم على أساس التحرر الوجداني من كل استعباد، وخضوع، فلا خوف، ولا خضوع إلا لله، وهو يقوم على أساس المساواة، فلا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى، ويقوم على أساس التكافل بكل صوره، فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، فرعاية الوالدين والزوجة والأولاد ومساعدة المحتاجين كلها من صور التكافل التي أمر الله بها تعالى، وجعل عقوبة المقصر

فيها من أشد العقوبات فلا يدخل الجنة قاطع رحم، ولا يدخل الجنة عاق لوالديه، وأقسم النبي ﷺ أنه لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم.

فعلى المسلم أن يعيش كأنه يسير على الصراط، حيث لابد من المرور عليه، ومن أسفلنا النار تغلي ويسمع شهيقها، فهل تتيقن يا من كنت مقصرًا في الصلاة أن تعبر الصراط كالبرق، وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف، وهل تتيقن يا من كنت تصلي فرضًا وتترك الآخر أن تمر كالبرق دون أن تقع في النار، وهل تثق يا مدخن ، يا من تُقبل النار، وتبتلع دخانها منذ سنين أن تمر كالبرق ولا تقع فيها، إنها محنة لو تصورها كل إنسان لما ضحك أبدًا.

يقول ﷺ : «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**» ولو سمع الناس عذاب القبر لصعقوا وما تدافنوا، يقول النبي ﷺ : «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر ما أسمع**».

لقد زُلزل الذين من قبلنا حتى قالوا متى نصر الله، ولقد اجتهد النبي ﷺ في الدعاء في غزوة بدر حتى سقطت جبته من فوق كتفيه... إن الله ينصر المظلومُ، لذلك لابد أن يكشف صاحب الجريمة ولو بعد حين والله إذا أحب قوم ابتلاهم فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط. إن تارك الصلاة يُضرب في قبره فيصرخ صرخة يسمعها كل شيء إلا الثقلين وهم الإنس والجن لذلك نفرت دابة رسول الله ﷺ حين مر بها على قبر أحد المشركين، وكل إنسان يحمل ذنوبًا لا يعلمها إلا الله.

يقول ﷺ : «**لو تكاشفتم ما تدافنتم**» فعلينا بالتوبة، والرفق بكل شيء، ولين الكلام، وإطعام الطعام، وقيام الليل، حتى تُضاء قبورنا وحتى نعبر الصراط

كالبرق، وعلينا أن ندرك أن هناك ثلاث محن لا يذكر أحدنا أهله كما أخبر ﷺ وهي عند عبور الصراط، وعند تطاير الصحف، وعند الميزان، فما يجعلك تعبر الصراط دون عناء صلاة الجماعة، فمن صلى الصلوات الخمس في جماعة جاز على الصراط كالبرق اللامع، وجاء يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر، وكذلك صلة الرحم، وتسهيل أمور المسلمين، والرحمة بالخلق، ولكي تأخذ كتابك بيمينك لابد من التواضع، وعدم الكبر، والإخلاص في سائر العبادات، والخشوع فيها، ومراقبة الله في كل شيء، ولكي يثقل ميزانك؛ عليك بالصدقة، فالعبد يتصدق بالدرهم فيلقى الله وهو مثل الجبل ويقول ﷺ: «**أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة الصمت وحسن الخلق**»، ويخبرنا ﷺ بكلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان حبيبتين إلى الرحمن: «**سبحان الله وبحمده... سبحان الله العظيم**».

كذلك فإن قراءة القرآن كل حرف بعشر حسنات والصفحة الواحدة يفوز قارؤها بما يقرب من خمسة آلاف حسنة تثقل ميزانك يوم القيامة فلا يمر يوم عليك دون أن تقرأ جزء، أو نصف جزء، أو ما تيسر من القرآن، واستمر على ذكر الله، واجعل لسانك دائمًا رطبًا بذكره سبحانه، ليظل عداد حسناتك يعمل ليل نهار حتى لا تغلبك السيئات التي يحاربك بها الشيطان، ولا تنسَ غض البصر، والإعراض عن اللغو، والغيبة. حتى لا تضيع كل ما تعمل، وتصبح مفلسًا يوم القيامة رغم فعلك كل الخيرات السابقة، وكن أخي المسلم من الصالحين، فإن الله تعالى يصلح بالرجل الصالح ولده وولد ولده ودويرات حوله، ولا يزالون في حفظ الله ما زال فيهم.

واعلم أن الهدى رغم كل ذلك من الله، واعلم أن ما يزيد إيمانك طهارة القلب، فلا يكن في قلبك مرض يضعفك أمام الشهوات، ولا تشغل فكرك وقلبك إلا بذكر الله

تعالى وما سمح به... إن ذره من أعمال القلوب تعدل جبالًا من أعمال الجوارح واحذر خلف الوعد فإنها من خصال المنافقين، وأد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك ولا تتبع عورات الناس حتى لا يفضحك الله ولو كنت في جوف بيتك، وما يزيد الإيمان أيضًا الانشغال بالله وذكره، وقراءة القرآن، والمداومة على الطاعات كما أخبرت السيدة عائشة، كذلك مجالسة الصالحين، وغض الطرف عن الحرام والإخلاص في العمل، فمن أمسى كالًا من عمل يده أمسى مغفورًا له، ولقد أخبر ﷺ أنه ما من عمل أنجى من عذاب الله من ذكر الله، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن يَضرب بسيفه حتى ينقطع**» ثلاث مرات، وفي الحديث القدسي عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام أنه قال: سمعت ربَّ العزة يقول: «**لا إله إلا الله حِصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي**» ولولا أن الشياطين تجوب حول ابن آدم لرأى ملكوت السماوات، فعلينا بالمداومة على ذكر الله والاستعاذة من الشيطان، وتذكر الموت، وأن الأعمال بالخواتيم، فمن خُتم له بلا إله إلا الله مخلصًا بها دخل الجنة، وعلينا بالحركة في الخير كالسمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، ولزوم الجماعة والدعوة إلى الله، والنتيجة بركة في العمر، والمال، والعلم، والصحة، وكلها من رزق الله وعلينا بإمساك اللسان فلا يُكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم، وعلينا بلزوم الجماعة فالله تعالى لا يجمع الأمة على ضلالة.

ومن فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام، **ولنحذر من ثلاثة أشياء تمنع** النطق بالشهادة: (قطع الرحم، وعقوق الوالدين، والإصرار على الكبيرة) فيجب عليك أن تقسم رحمك إلى أقارب للأب وأقارب للأم، وتقوم بزيارة الجميع بعد كتابة أسمائهم جميعًا، وتكرر الأمر حتى يبسط الله لك في رزقك ويبارك في عمرك، كذلك فإن

صلة الرحم يتوقف عليها قبول أعمال العباد فلا يدخل الجنة قاطع رحم، أو نمام، أو عاق لوالديه وينصحنا النبي ﷺ بصلة الرحم، صلوا أرحامكم ولو بالسلام...

إن الصلة تشبه سقي الماء للزرع، ومن وصل الرحم وصله الله، ومن قطعها قطعه الله، **أي**: لا يتقبل منه عمل، أو صيام، أو صلاة أو غير ذلك من سائر العبادات، فالحمد لله أن ربنا لا يأمر إلا بالخير، والحمد لله أن ربنا الله، والحمد لله على نعمة الإسلام، ونسأل الله أن لا يجعل الدنيا هي غاية همنا حتى لا يفرق شملنا، وأن يجعل الآخرة هي غاية همنا حتى يجمع شملنا، ويجعل الغنى في قلوبنا، وتأتينا الدنيا وهي راغمة.

٧٣- من أنوار القرآن الكريم وإعجازه:

الشمس: إن نصف الكرة للشمس بلاده عليها نهار، والبعيد بلاده عليها ليل كما أشرنا من قبل، وبذلك فإن النهار هو الذي يجلي الشمس ويُظهرها بسبب حركة الأرض واحتوائها على الغلاف الجوي الذي يُظهر لنا النهار لمسافة ٢٠٠كم ابتداءًا من سطح البحر إلى أعلى أما بعد ذلك فالكون حالك الظلام والشمس تبدو كقرص أزرق في صفحة السماء الحالكة الظلمة، ولو كان القرآن من عند بشر لقال إن الشمس هي التي ترينا النهار لا أن النهار هو الذي يجليها، ولقال إنها تختفي فتسبب الليل، ولا أن الليل هو الذي يغشاها ويخفيها، ويتجلى ذلك في قوله سبحانه: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ (الشمس:١-٤).

المطر: لقد وصفه سبحانه وتعالى بأنه الماء الطهور، وبالفعل لقد أثبت العلم الحديث في عصرنا أنه يطهر الأرض، ويغسل الجو وينقيه من الشوائب والأتربة العالقة به، والجراثيم المختلفة، وهو أثناء جريه في الأرض يُذيب الكثير من مختلف العناصر

والمركبات ويدفعها إلى مجاري البحار والأنهار، حيث يتبخر هذا الماء مرة أخرى عن طريق أشعة الشمس بما تحتويه من أشعة فوق بنفسجية فتقتل الجراثيم، والتي تستخدم حاليًا في عمليات التعقيم(١)، وكذلك فإن غاز الأوزون، والبرق، والمركبات الكيميائية، الموجودة في طبقات الجو العليا تقوم بقتل الميكروبات وإعدام الأحياء الدقيقة الضارة التي تحملها الرياح، وبالتالي ينزل المطر نظيفًا طاهرًا خاليًا من الجراثيم والميكروبات ويسبق القرآن الكريم كل العلوم ويُصرح بتلك الحقيقة التي لم يكن يعلمها أحد منذ ألف وأربعمائة عام، حيث لم يعلموا بمثل تلك الأشعة والمركبات الكيميائية التي هي بالفعل يستخدمها العالم في عصرنا للتعقيم والتطهير ويتجلى ذلك أيضًا في قوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (الفرقان: ٤٨).

أم القرى: مكة المكرمة هي بالفعل كما اكتشف العلماء مركز العالم كما أشرنا سابقًا ولقد كانت الصور التي التقطها العلماء بواسطة الأقمار الصناعية من ارتفاع ٩٠٠كم في الفضاء حيث ظهرت الكرة الأرضية تشتمل على القطبين الشمالي، والجنوبي، وبواسطة أجهزة تكبير تستخدم لفحص هذه الصور اتضح أن مكة المكرمة هي متوسط الكره الأرضية بين أقصى يابسة في القطب الشمالي، وأقصى يابسة في القطب الجنوبي، ولقد تمكن عالم أمريكي متخصص في علم الطبوغرافيا بإجراء بحوث استنتج منها أن مكة هي المركز المغناطيسي للكرة الأرضية(٢) وقد بحث العالم عن مصدر التجاذب الرئيسي بين الأجسام ليكون هذا المركز هو أساس هذه القوة الجاذبة، وبعد بحثه ودراساته إذا

(١) وصف ماء المطر بأنه: الماء الطهور، وإثبات العلم الحديث لتلك الحقيقة دكتور/ أحمد فؤاد باشا.

(٢) هو عالم متخصص في علم الطبوغرافيا، من نتائج بحثه أن مكة المكرمة هي مركز تلاقي الإشعاعات الكونية، فهي المركز المغناطيسي للكرة الأرضية، وقد توصل لنفس النتيجة العالم المصري/ حسين كمال - رئيس قسم المساحة التصويرية.

به يجد أن هذا المركز والذي تتلاقى فيه الإشعاعات الكونية، هو موقع مكة المكرمة، ولقد توصل لنفس النتيجة المصري حسين كمال رئيس قسم المساحة التصويرية، وهذا يفسر لنا ظاهرة الطواف حول البيت الحرام، وهو المركز كما تطوف الأليكترونات والنيترونات حول نواة الذرة وهي المركز، وهذا أيضًا يفسر لنا أشواق البشر وتلبية الله تعالى بالحج إلى بيت الله الحرام يقول تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الشورى: ٧)، فسبحان علام الغيوب.

الكون: أثبت العلماء أن الأنهار قد تكونت أولًا بعد الانفجار العظيم، حيث خرجت كميات هائلة من الأبخرة والغازات التي تكثفت ثم عادت مطرًا غزيرًا كون الأنهار والبحار يقول تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ (هود: ٧).

ثم (الحقب الأركى- الابتدائي) ثم ظهرت النباتات غير المزهرة، والسرخسيات في العصر الذي يليه (الباليوذوي) وهو حقب الحياة القديمة، ثم ظهرت سلاسل الجبال في عصر الحياة الحديثة، ولقد أخبرنا ﷺ بذلك بوحي من ربه، ولم تكن مثل هذه الدراسات الحديثة قد أجريت، وهو يخبرنا بترتيب معجز حيث الأرض أولًا ثم النبات (المرعى) ثم الجبال، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ (النازعات: ٣٠-٣٢)، فسبحان الملك المهيمن.

الليل والنهار: لأن نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس بلاده عليها نهار، ونصف الكرة البعيد بلاده عليها ليل، وبذلك فإن أمر الله تعالى إذا نزل بالعباد فيكون نهارًا عند البعض ويكون ليلًا عند البعض الآخر، ولقد أخبرنا النبي ﷺ بتلك الحقيقة المعجزة التي لا تخطر بعقل بشر، وذلك بوحي من ربه وذلك قوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ (يونس: ٢٤).

ويقول تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٧-٩٨). فسبحان الملك الذي لا حدود لملكه ويكفينا أن نعرف أن الشمس ومجموعاتها الكوكبية تدور دورة كاملة حول مركز المجرة مرة كل ٢٠٠ مليون سنة بسرعة ٢٥٠كم/ ث تقريبًا، فما بالنا بحدود هذا الكون، وسبحان من يعلم بكل شيء في كونه، فحركة الشمس، والقمر، والأرض ودورانهم في مدارات وأفلاك ثابتة منتظمة لم يعلمها العلماء إلا حديثًا ولكن يخبرنا سبحانه بقوله: ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس: ٤٠). فسبحان العليم الخبير.

الأمر: إن الأمر كله لله، وإذا نظرنا إلى الإنسان نجد أنه خُلق بأمر الله: كن، وأنه سيموت بأمره: مت..، وأنه سيقوم للحساب بأمره قم، وأنه سينال جزاؤه بأمره نل، وإذا قمنا بوصل هذه الأوامر الأربع نجد أنها تكون ملخص أمر الله للإنسان بأن يتق الله ويعبده وحده لا شريك له، فإذا نظرنا لوصل تلك الأوامر نجد أنها تكون أمرًا شاملًا هو كن متق وتبقى الحروف (م ن ل) ووصلها بحسب ترتيبها الأبجدي هو أداة الاستفهام لمن؟ والإجابة على تلك الأداة الاستفهامية هي كما أخبر سبحانه لله الواحد القهار.

الكرسي والعرش: أخبرنا ﷺ أن السماوات السبع والأرضين السبع عند الكرسي كحلقة ملقاة بأرض في فلاه، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة، أي: أن السماوات السبع والأرضين السبع إذا تم اتصالهم بمساحتهم الشاسعة فهم بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في صحراء، كذلك فإن الكرسي هو كحلقة ملقاة في صحراء بالنسبة لعرش الله سبحانه، وذلك يثبت لنا أن السماوات السبع والأرضين السبع ما هم إلا جزء صغير لا يكاد يُذكر من هذا العالم الذي لا يعلم

حدوده إلا الله الخالق سبحانه، وربما هناك عوالم أخرى تتلقى الأمر من الخالق سبحانه لا نعلمها: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴾ (الحاقة: ٣٨-٣٩).

ويقول سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ (الطلاق: ١٢).

ويقول تعالى: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (المؤمنون: ٨٦)

القيامة: إن تصورات وفروض العلم الحديث تنحصر بقدر حدود العلم في احتمال انفجار الشمس وخروج ألسنة اللهب منها حتى تصل إلى الأرض فيهلك كل شيء، ثم تُسجر وتشتعل البحار، ونتيجة لهذا التغير تتناثر الكواكب وذلك لانعدام القوة الجاذبة للكواكب من الشمس، وحين يختل ذلك تتناثر الكواكب يقول تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴾ (الانفطار: ١-٣).

ويقول أيضًا: ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴾ (التكوير: ٦). إنه علم الله المحيط ووحيه لنبيه الأمي الذي كان لا ينطق عن الهوى.

الفلك: سخر الله تعالى للإنسان الكثير من النعم، والفلك التي تجري في البحر وهي من تسخير الخالق لعباده حتى ينتفعوا بما تحمله من أقوات ومتاع وغير ذلك مما ينتفع به الناس، ولقد سبب الله تعالى الأسباب لسير الفلك، فلو قلت كثافة الماء في البحر،أو زاد ضغط الهواء فوق سطح البحر، أو ثارت التيارات المائية أو الهوائية أو اختلت درجة الحرارة عن الحدود التي تبقي الماء ماءًا في صورته السائلة لما استطاعت الفلك أن تجري ويشير سبحانه وتعالى لتلك الحقيقة بقوله: ﴿ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ (الروم: ٤٦). إنه الوحي من الله علام الغيوب.

أهل الكهف: حيث كان العرب يعملون بالتقويم القمري في جزيرة العرب عند بدء الرسالة الإسلامية، كانت الحضارات السابقة تعمل بالتقويم الشمسي، ولما كان أهل الكهف يعاصرون فترة زمنية يعمل أهلها بالتقويم الشمسي لذلك صرح القرآن الكريم بفترة مكثهم بالتقويم الشمسي ثلاثمائة سنة.

ولما كان العرب يعملون بالتقويم القمري فقال تعالى: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ وبالفعل أثبت العلماء ذلك حديثًا حيث وجدوا أن ثلاثمائة سنة بالتقويم الشمسي تعادل ثلاثمائة وتسع بالتقويم القمري، كما أشرنا سابقًا فسبحان الله الحسيب العليم، والذي يخبرنا في إشارة أخرى أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، والأيام الستة ينبغي أن تقاس بأيام الناس، حيث إن اليوم عندنا مساوٍ لدورة الأرض حول نفسها مرة واحدة بزمن قدره ٢٤ ساعة على الأرض، وقد يساوي اليوم ستة أشهر نهارًا، وستة أشهر ليلًا عند القطبين الشمالي والجنوبي، ويسمى باليوم القطبي، وقد يصل اليوم في أجرام أخرى إلى ثلاثمائة مليون سنة إذا قيس بأيامنا التي تخضع لدوران الأرض حول نفسها في مثل هذا الزمن[١]. فما أضعف الإنسان أمام قوة ربه وما أفقره أمام علمه المحيط، فلا حول ولا قوة إلا بالله، إذا قالها العبد يقول سبحانه: أسلم عبدي واستسلم.

دوران الأرض: إن دوران الأرض حول نفسها ينشأ عنه الليل والنهار، ودورانها حول الشمس ينشأ عنه فصول السنة، ولقد لاحظ العلماء ورواد الفضاء أن تلك الكرة المعتمة وهي الأرض حين تدور أمام تلك الكرة المضيئة وهي الشمس فإن مواضع

(١) ملخص ما أضافه الدكتور أحمد شوقي إبراهيم، والدكتور زغلول النجار في الحديث عن نسبية الزمن.

الظلمة تتداخل فيها، فشيئًا فشيئًا يطول الليل وهو يأكل من النهار في مقدم الشتاء، وكذلك يطول النهار وهو يسحب من الليل في مقدم الصيف، ولا يمكن أن يدعي إنسان أنه يُمسك بخيوط هذه العملية الكونية أو بطرقها، وبخاصة في أمة أمية منذ ألف وأربعمائة عام ينظر فيها الإنسان للأرض، ويعتقد أنها ثابتة لا تتحرك ولا تدور، ولا يعرف عن سر تعاقب الليل والنهار، وأن نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس يكون مضيئًا، والبعيد يكون مظلمًا، ويأتي التحدي من الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ (آل عمران: ٢٧).

ما بين السماء والأرض: اكتشف العلماء في عصرنا أن المادة تنتشر في أجزاء الكون فنحن نرى ما بين السماء والأرض فراغًا ولكن وجد العلماء انتشار المادة في فسحة الكون، وهي عبارة عن خليط من الغازات والجسيمات الصلبة المتناهية، كذلك يتصاعد من فوهات البراكين الأرضية كمية من الغازات والأبخرة الهائلة، والتي تكون مع مادة ما بين الكواكب ما يعرف بالغلاف الغازي للأرض، كما تم اكتشاف زوجين من الأحزمة الهلالية تحيط بالأرض وهي أيضًا ما بين السماء والأرض، والإعجاز هنا يتجلى في أن من ينظر بين السماء والأرض يرى فراغًا، ولا يخطر بعقله وبعينه المجردة أن هناك مادة وأحزمة هلالية وأبخرة وغازات ينتفع بها الإنسان، كالأكسجين، وثاني أكسيد الكربون، وغير ذلك، ولكن يخبرنا ﷺ بوحي من ربه منذ ألف وأربعمائة عام بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴾ (ق: ٣٨). فسبحان من خلق كل شيء وعلم بكل شيء يقول سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ (البقرة: ٢٩).

الماء: أنزله سبحانه بقدَرَ وهو يعلم بما يحتاج عباده فينزله رحمة منه، أو يمسكه غضبًا عليهم لغفلتهم وبخلهم وقد أنزله الله تعالى بقَدَر ولا يملك ذلك إلا الله سبحانه وتعالى، بقَدَر من ناحية الكمية فلا يكون سيولًا مهلكة، وبقَدَر من ناحية النوعية، فماء المطر به جزء من الأملاح الذائبة لا يتجاوز ٢٠ جزء في المليون، وبذلك يكون عذبًا زلالًا، ولو زادت الأملاح عن ذلك لصار ملحًا أجاجًا لا ينبت زرعًا ولا شجرًا، ويعجز الإنسان أن ينزل المطر، أو يقدره، أو يمنع السيول، أو يطهره، فيجعله ماءًا طهورًا، ويخبرنا سبحانه بتلك الحقيقة في قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الزخرف: ١١).

التفكر: يدعونا الله سبحانه وتعالى للتفكر والنظر في خلق السماوات والأرض وما يحتويه من دلائل القدرة، وتسخير ما ينفع الإنسان، كنزول المطر، وإنبات الزرع، وتسخير الدواب وتقدير الأقوات، وغير ذلك، ثم تبادل الليل والنهار حيث يجد الإنسان بالفعل أنه يحتاج إلى العمل بالنهار، لكنه يحتاج أيضًا إلى الراحة بالليل، فكلما احتاج الإنسان شيئًا وجد أن الله قد حكم كونه بما ينفع الإنسان وما يحتاجه، وهذا يثبت لأصحاب العقول الراجحة أن ما في الكون من تناسق وراءه يد تنسق ووراء ما فيه من نظام عقل يدبر، ووراء ما فيه من إحكام سننًا كونية تتحرك طائعة لأمرها بلا تخلف، ومن يتفكر في الماضي وصل إلى ذلك ومن تفكر في عصرنا حيث الاكتشافات الحديثة يصل إلى تلك الحقيقة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بإشارة واضحة، والنظر في كون الله، وهو كتابه المفتوح والمليء بمختلف النعم يقرؤه من يشاء أن يتأمل ويصل إلى ربه وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩١).

اليوم الكوني: لم يكن العرب من قبل يعرفون شيئًا عن اليوم الكوني، وأن الزمن نسبي[١] يختلف من جِرْم إلى آخر بحسب دورانه في مجموعته، والملائكة والروح يعرجون بالأمر إلى الله ويتنزلون في أيام تختلف عن أيام الدنيا التي نعرفها، وعبر كون منحنى يعبر عن السير فيه بالعروج، وقد يصل اليوم في أجرام أخرى إلى ثلاثمائة مليون سنة، وهناك يوم قطبي عبارة عن ستة أشهر ليلًا وستة أشهر نهارًا، ويتجلى الإعجاز القرآني في الإخبار عن تلك الحقيقة التي لم يعرفها العلم إلا حديثًا في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤).

وذلك يثبت لنا أن النبي ﷺ كان لا ينطق عن الهوى حيث إنها حقائق لا يخبر بها إلا العليم الخبير الذي يملك السماوات والأرض، والسماوات هي كل ما يعلو فوق الأرض مع اعتبار أن طبقات الغلاف الجوي الأثيرية كالأيونوسفير وغيرها هي أغلفة تابعة للأرض وتعمل على حمايتها، لذلك يرى البعض أن الأرضين السبع هي كرات أثيرية تحيط بالأرض وتتخللها، ويرى البعض الآخر أن الأرض سبع طبقات وهي لب الأرض الصلب، ثم اللب السائل، ثم وشاح الأرض من ثلاث نطق ثم الغلاف الصخري للأرض، وهو من نطاقين أعلاهما القشرة الأرضية، ويرى البعض الآخر أن في كل سماء أرضًا مثل أرضنا، فيكون جميعًا سبع أرضين، ويدبر الله تعالى أمر السماوات والأرض، وينزل الأمر، ويعطي ويمنح بما فيه الخير لعباده، وبرحمته يمسك السماء أن تقع على الأرض يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

(الطلاق: ١٢)

---

(١) «الإعجاز العلمي في الحديث النبوي» أحمد شوقي إبراهيم.

وبالفعل فإن تلك الآية تعد من روائع الإعجاز القرآني حيث إنها تثبت لنا وتفرض سؤالًا هو مَن الذي أخبر النبي الأمي، والذي كان يعيش في أمة لم يكن بها ما يساعد على إثبات أن تلك الأرض التي يعيشون عليها ليست أرضًا واحدة، ولكن سبع أرضين، وأن السماوات التي تُظلهم هي أيضًا سبع سماوات، فحقًا إنها آية نعلم منها أن الله على كل شيء قدير، وأنه قد أحاط بكل شيء علمًا.

obeikandl.com